الاتجاه الإسلامي
في الثورة المصرية سنة ١٩١٩

الدكتور زكريا سليمان بيومي

كلية التربية ــ جامعة المنصورة

الطبعــة الأولى

١٤٠٣ هـ ــ ١٩٨٣ م

الناشر
دار الكتاب الجامعي
٨ شارع سليمان الحلبي بالقاهرة

المحتويات

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

حظيت ثورة الشعب المصرى سنة ١٩١٩ باهتمام العديد من الباحثين وفى جوانب شتى ومن منظورات مختلفة من فروع الدراسات الانسانية . ويكاد يجمع أغلب هؤلاء الباحثين على أن هذه الثورة ــ وكما جاء فى قول الأستاذ الدكتور أحمد عزت عبد الكريم الذى يحتل مكان الريادة بين المؤرخين المعاصرين ــ « حدث قومى ضخم » ، و « أضخم عامل فعال فى بناء القومية المصرية »[1] . أو بمعنى آخر أن هذه الثورة ــ فى رأى أغلب الباحثين ــ تعتبر انتصارا للتيار القومى على التيار الذى ظل سائدا ولفترة طويلة وهو التيار الاسلامى .

ومن جهة أخرى فقد صدرت ــ وفى الفترة الأخيرة بالذات ــ عدة مؤلفات فى تاريخ مصر عامة ، وعن ثورة سنة ١٩١٩ بصفة خاصة تحاول أن تؤكد معنى « الوحدة الوطنية » بين الأغلبية

---

(١) ٥٠ عاما على ثورة سنة ١٩١٩ : مقدمة بقلم أ . د . أحمد عزت عبد الكريم ص ٥ .

المسلمة وبقية الأقليات وفى مقدمتها الأقباط • ويبدو أن هذا الاتجاه يهدف الى أمرين الأول اعــلاء القومية المصرية على الاســـــلامية أو حتى العربية وهو اتجاه حظى من قبل بتأييد الاحتلال والأقليات الطائفية دون مراعاة لتوافق أو تنافر ذلك مع المصــلحة الوطنية ، فضلا عن أنه ينافى الواقع المصرى ، والأمر الثانى يبدو من خلال محاولات لصق تهمة التعصـــب الدينى ــ التى بدت لأسباب مفتعلة ولفترة محدودة ــ وكــذا التخلف بالاسلام والمسلمين خلال الفترات الســـــابقة لثورة سنة ١٩١٩ ليشمل العصر العثمانى وربما العصر الاســلامى بأكمله •

وبصفة عامة فقد استقر فى أذهان العلمانيين الذين تلقوا تعليمهم فى أوربا أن كل اقتراح لتنظيم الشؤون الســياســية وتخطيط المناهج الاقتصادية والاجتماعية على أساس الدين حركة رجعية على اعتبار أنهم ينظرون بعين العقل والمصلحة التى ارتقت بمقتضاها الحضارة الأوربية[٢] • وبغض النظر عن صحة هذا الاتجاه ومدى ملاءمته للواقع المصرى فانه قد اصطدم بجماهير ورثت ايمانا له جذور عميقة يؤكد أن مصلحتها تكمن فى القيم الأخلاقية المستمدة من الشرائع السماوية ، كما أن هذه الجماهير

---

(٢) محمد أسد : منهاج الحكم فى الاسلام . تـ . منصــور محمد ماضى ص٢١ •

قد استقطب ولاءها واحترامها ذلك النظام السياسى الذى وضعه الاسلام [٣] ، بما فيها الأقليات غير الاسلامية التى انصهرت فى الكل الاسلامى لما نعمت به من نصيب فى هذا النظام ، وهو أمر لايحجبه أو يقلل منه هزيمة دولة الخلافة أو انحسار أيديولوجية الجامعة الاسلامية أو ضعف المؤسسات الاسلامية التقليدية [٤] .

ولم يراع الليبراليون حقيقة التقاء النظام الديمقراطى والنظام الاسلامى فى شكل نظام الحكم فى الغالب ، وهو أمر ركز عليه كثير من المصلحين من خلال ابرازهم لمدى انسجام الحركة الدستورية والنظام النيابى مع المبادىء الاسلامية الأمر الذى أدى الى أن يحظى هذا النظام بموافقة الجماهير المتدينة [٥] . لكن تجاهل الليبراليين للفئات المتدينة عندما نجحوا فى اقامة مؤسساتهم العصرية ، بل وتشجيع الهجوم عليها ، قد

---

(٣) مجيد خدورى : الاتجاهات السياسية فى العالم العربى ص ٥٦ .

(٤) عبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية فى مصر ١٩١٨ — ١٩٣٦ ص ٦٣٢ حيث نعارض رأيه فى هذا الجانب .

(٥) مجيد خدورى : المرجع السابق ص٥٥ . ، د. نازك سابايارد : الرحالون العرب وحضارة المغرب ص ٦٧ ، ٦٨ ، ٧١ .

أثار عليهم هذه الفئات فأهاجت بدورها الجماهير من خلال التجربة التركية التى أزاح فيها التشريع العلمانى (الذى لم يعرهم اهتمامه) التشريع الاسلامى (الذى حظى بولائهم واحترامهم)، وحملهم الليبراليون — مع ذلك — تبعة العمل على اعاقة التجربة الديمقراطية(٦) .

وحتى القلة المثقفة من أصحاب العلوم الدينية الذين تأثروا — باسم المصلحة — بالليبراليين ، أو بالاتجاه العلمانى والقومى ، عادت لتدرك من خلال ماتخلل دستور سنة ١٩٢٣ من ثغرات فى الصياغة — ثوبا فضفاضا — وانتهاكات فى التطبيق والمنافسة الشديدة فى السعى للسلطة والتى فرقت بين هذه الفئات الليبرالية ، صحة الايمان الموروث ، والتف أغلبهم حول فكرة العودة اليه ، وهو أمر يوضحه اشتداد عود الاتجاه السياسى الاسلامى الذى حاول ابراز استيعابه لمزايا الاتجاهات الأخرى ، والممثل فى الجماعات الاسلامية جماهيريا على كافة الاتجاهات السياسية والتى انتهجت منها السبيل الليبرالى بصفة خاصة على الرغم من خلو مناهج هذه الجماعات فى أغلبها من برامج اصلاحية عصرية بناءة .

---

(٦) مجيد خدورى : المرجع السابق ص٥٦ .

كما أن الفئة القليلة من المثقفين العلمانيين والذين أسهمت الظروف فى وجودهم على سطح الأحداث السياسية بعد الحرب العالمية الأولى والذين كانوا ينتمون فى أغلبهم للبورجوازية المصرية قد أيدوا الاتجاه القومى بل وروجوا له ، لكنهم سواء فى هذا أم فى انتماءاتهم الاجتماعية والسياسية والفكرية لم يكونوا يمثلون غالبية الشعب المصرى ، ولم يستمر توافق تمثيلهم له — نتيجة لذلك — فى المطالب الوطنية .

ومن هنا فان أغلب هذه الدراسات تلتقى عند هدف اخفاء أو تجاهل دور الدين عامة والوجه الاسلامى لثورة سنة ١٩١٩ بصفة خاصة بدعوى أن الاتجاه الاسلامى لو كان سائدا لما أفسح المجال لاسهام الأقليات وفى مقدمتها الأقباط بأى دور فى هذه الثورة . كما أنها — أى هذه الدراسات — قد غفلت ، أو أغفلت حقيقة أن انحسار المد الاسلامى وبروز التيار الوطنى على حسابه كان أمرا خارجا على ارادة جماهير المصريين ولم يكن تعبيرا عن المقارنة بين التيارين ، بل ان النضوج النسبى الذى حققه التيار الوطنى لانحسار المد الاسلامى يؤكد حقيقة الاندماج الكامل بين الفكرة الاسلامية والفكرة الوطنية (لا القومية التعصبية) ، أو تلاقى الانتماء الوطنى والانتماء العقائدى (الاسلامى) فى هذه الثورة ، وهو اتجاه بدأ فى القرن التاسع

عشر وتبلور فى دعوة الحزب الوطنى وزعيمه مصطفى كامل(٧) .

على أن محاولة اظهار الوجه الاسلامى لهذه الثورة — وهو الوجه الحقيقى فى رأينا — لايعنى ، كما قد يتبادر الى ذهن الأغلبية ، اخفاء دور الأقباط فيها أو حتى التقليل منه ، ذلك لأن ابراز هذا الدور ووضعه فى اطاره الموضوعى الصحيح يعد فى حقيقته تجسيدا للوجه الاسلامى لهذه الثورة حيث أن السماحة فى معاملة الأقليات غير الاسلامية التى نصت عليها الشريعة الاسلامية وطبقت فى أغلب فترات التاريخ الاسلامى وجعلتهم يتساوون مع المسلمين ، كان من الطبيعى أن ينتج عنها اسهام هذه الأقليات فى الدفاع عن وضعهم بصفة خاصة ودفاعهم — كجزء من كل — عن الكل الاسلامى ، وهو أمر برز فى عديد من أحداث التاريخ ومن بينها ثورة سنة ١٩١٩ .

ومن هنا رأينا اعداد هذا البحث فى محاولة موضوعية لتوضيح الحقيقة التى غفلها أو أخفاها كثير من الكتاب والمؤرخين.

---

(7) Tignor, R.L. : Modernization and British Colonial Rule in Egypt 1882 - 1914 Priceton newjersey Princeton university press 1966. p 249.

، د. زكريا سليمان بيومى : مصر الحديثة بين الانتماء العقائدى والقومى ص١٧ .

، مجيد خدورى : الاتجاهات السياسية ص٢٤ .

على اختلاف مذاهبهم ، حيث ينبغى أن يكون المشتغل بالتـــاريخ تطبيقيا وأن يرصد بدقة اتجاه الأغلبية دون أن يحصر جهوده فى التركيز على فكر الأقلية مهما كان بريقه أو تأثيره وهو أمر لايقلل من هذا الفكر أو ذاك •

وسنركز فى هذا البحث على الجوانب الآتية : —

١ — أثر التسامح الاســلامى فى دور الأقليات وبخاصة فى ثورة سنة ١٩١٩م •

٢ — الاتجاه الاسلامى وأثره فى قيام الثورة •

٣ — مدى تعبير قادة الوفد الذين حاولوا صــــبغ الثورة بالصبغة العلمانية عن المصريين •

٤ — دور الأقباط فى الثورة ، حجمه ، وطبيعته •

والله ولى التوفيق

د•زكريا سليمان بيــومى

أثر التسامح الاسلامى فى دور الأقليات فى ثورة سنة ١٩١٩ :

السماحة شعور مكتسب وليست شعورا غريزيا ، والأمر المكتسب لايأخذ صفة الدوام أو العمومية — فى الغالب — لأكثر من جيل أو جيلين لتغير مصالح الانسان واتجاهاته مما يجعله يسعى لتغيير قوانين حياته وفقا لتغير طبيعته ومصالحه وطموحه، لكن القوانين والتشريعات السماوية هى التى تأخذ صفة الاستمرار والدوام ويقتنع بها الانسان عن رضى بل ويدافع عنها [1] .

ومع أن التسامح كان أساسا هاما فى انتشار المسيحية ، الا أنه لم يبد الا فى حدود السلوك الشخصى ، حيث أن الذين اعتنقوا المسيحية من الحكام لم يطبقوه بشكل عام مع بقية الطوائف والأقليات الدينية ، بل بين أتباع المذاهب المسيحية بعضها وبعض [2] ، فى حين اشتمل نظام الحكم الاسلامى —

---

(١) عن تغير العلاقة بين الأغلبية والأقلية وفشل الجهود الدولية المعاصرة فى تقنين حقوق الأقليات أنظر : د. سميرة بحر : المدخل لدراسة الأقليات ص٨١ ، ٨٢ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ٩٥ .

(٢) د. عبد العزيز محمد الشناوى : أوربا فى مطلع العصور الحديثة جا ط٣ ص٥٧٠ ومابعدها .

الذى يجمع فيه الحاكم بين السلطة الدينية والسلطة الزمنية — على منهج ثابت وعادل لمعاملة الأقليات • وقد وضح هذا المنهج وبسرعة للاقليات منذ بدء الفتح الاسلامى ، ويبدو هذا فى شكوى القبطى المصرى لعمر بن الخطاب من ابن عمرو بن العاص ، ولم يكن هذا القبطى يعرف الخليفة ، لكنه تعرف على جوهر النظام الذى يعمل بمقتضاه الخليفة (٣) ، كما يتضح فى قول أحد منسوبى الكنيسة الشرقية فى القسطنطينية عندما فتحها السلطان محمد الفاتح « لأن تحكمنا فى القسطنطينية عمائم الترك أهون من أن تحكمنا قلانس اللاتين » •

على أن جمع الحاكم المسلم للسلطتين معا لايعنى الخضوع لمزاجه الشخصى كما يرى البعض (٤) ، فهناك اطار التزام أو حدود لسلطة هذا الحاكم وجبت معارضته اذا ماتخطاها ، وهو أمر يؤكده — على سبيل المثال وفيما يخص الأقليات — رد الفقيه الحسن البصرى على الخليفة عمر بن عبد العزيز عندما سأله عن نكاح أهل الذمة للمحارم واقتناء الخمور والخنازير

---

(٣) عن موقف عمر بن الخطاب من النصارى فى ايلياء وبيت المقدس أنظر : د. سميرة بحر : المدخل لدراسة الأقليات ص١٠٠ ، ١٠١ . وقد رفض الخليفة الصلاة فى الكنيسة حتى تصبح سنة وتقلب مسجدا وقال : جئنا لنرسى قواعد الاخاء والعدل .

(٤) د. سميرة بحر : المرجع السابق ص١٠٦ .

فقال له : « انما بذلوا الجزية ليتركوا وما يعتقدون ، وانما أنت متبع ولست مبتدع والسلام »(٥) .

وقد كفلت الشريعة الاسلامية كافة أنواع الحريات فى العقيدة والخطابة والكتابة والرأى والتفكير والاجتماع والاحتفال ماهو للمسلمين سواء بسواء ، بل كفلت لهم حرية نقد الحكومة الاسلامية والدين الاسلامى نفسه مثل ما للمسلمين من حق نقد مذاهبهم وفى حدود القانون (٦) . كما حفظت للذمى حق الملكية وحفظ النفس والتساوى بالمسلم أمام القانون الجنائى والمدنى الا فيما يخص اعتقاده كشرب الخمر وأكل لحم الخنزير ، بل واعفاءه من حد الزنا فى رأى بعض المذاهب .

وقد أسهم كل هذا فى أن تنصهر الأقليات وبخاصة النصارى فى الكل الاسلامى ، ومع أن ذلك كان نموذجا فريدا

---

(٥) ابو الأعلى المودودى : حقوق أهل الذمة ص١٨ . وقد حدد هذه السلطة أبو بكر الصديق فى قوله عند توليه الخلافة « أطيعونى ما أطعت الله فيكم فاذا عصيته فلا طاعة لى عليكم »

(٦) ابو الأعلى المودودى : المرجع السابق ص٢٣ . ، عن الجزية ومقارنتها بالزكاة أنظر : د. مصطفى كمال وصفى : مصنفه النظم الاسلامية ص٤١١ — ٤١٤ .

(٧) أبو الأعلى المودودى : المرجع السابق ص١٣ — ١٨ . ، د. سميرة بحر : المدخل لدراسة الأقليات ص١٠٣ .

يختلف عن كافة أنواع السياسات التى اتبعتها الأغلبية مع الأقلية [٨] ، الا أنه قد ساعد الأقليات الدينية على الاحتفاظ بخصائصها الأصلية ذلك لأنه « لعب دورا رئيسيا فى الاحتفاظ بالأهمية السياسية للمجتمع الدينى كوحدة اجتماعية ، وظلت القيمة الاجتماعية والسياسية للوحدة الدينية مسيطرة بعد انتشار مؤثرات الحضارة الغربية فى الشرق ، وبدء ظهور الاتجاه نحو عدم التمسك بالتعاليم الدينية »[٩] .

ولم يقف تطبيق المسلمين للتسامح مع الأقليات عند عصر الاسلام الأول بل امتد ليشمل أغلب فترات تاريخهم حتى فى فترات الضعف التى حدثت فيها تجاوزات عانى منها المسلمون قبل الأقليات الدينية [١٠] .

---

(٨) د. سميرة بحر : المرجع السابق ص٥٣ — ٧١ .

(٩) د. سميرة بحر : المرجع السابق ص١٠٥ ، ١٠٦ ، وعلى الرغم من أن التيارات الفكرية كانت فى مجملها تبحث عن صيغة عصرية تسمح لهم بالتعامل مع العصر الحديث وتبعدهم عن سيطرة رجال الدين الا أنهم كانوا جميعا مهتمين بارساء قيم التسامح الدينى والعلمانية فى العلاقات السياسية والاجتماعية . د. على الدين هلال : التجديد فى الفكر المصرى ص١٠٤ .

(١٠) عن تسامح المسلمين انظر : د. سميرة بحر : المرجع السابق ص٩٧ ومابعدها . ، د. عبد العزيز الشناوى : الدولة

ومصر كجزء من هذا الكل الاسلامى ، وبما لها من جذور عميقة فى الانتماء العقائدى قبل الاسلام[١١] ، وبعد أن صقلت الديانات السماوية وآخرها الاسلام هذا الانتماء ، فانها قد أصبح لها طابعا مميزا عن بقية الممالك الاسلامية حيث كانت أكثر هذه الممالك احتفاظا بالأهمية الأساسية للمجتمع الدينى كوحدة اجتماعية — وهو أمر يلتقى مع طبيعة الاسلام — ، كما أن الأقليات فيها وبخاصة الأقباط قد انصهرت انصهارا كاملا فى الكل الاسلامى ، ودافعت عن حقوقها من خلاله فى كثير من

= العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها جا ص٩٦ — ٩٨ ، جـ٢ ص ٩٦٨ ، ٩٦٩ . ، توماس أرنولد : الدعـــوة الى الاســــلام تـــ : د . حسن ابراهيم حسن ، د . عبد المجيد عابدين ط٣ ص٧٤ وما بعدها . جريدة مصر : ١٩١٩/٣/١١ مقال لزكى على المحامى حيث يفرق بين ارتباط المصريين ومايحدث فى البلاد الغربية بين أهل الدين الواحد .

(١١) د. زكريا سليمان بيومى : مصر الحديثة بين الانتماء العقائدى والقومى ص٣ ، وعن دور بعض الزعماء من الأقبـــاط المصريين انظر :

J.C. Hurew its : The minarities in the political process in social Forces in the middle East p. 219. Greenwood press, Publishers N.Y. 1963.

الأحداث التاريخية ومن بينها ثورة سنة ١٩١٩م (١٢) ، ويتضح

---

(١٢) ونعارض هنا الذين يعتبرون اشتراك الأقباط وجهـا علمانيا ، كما أن شعارات « الحرية والاخاء والمساواة » شعارات ماسونية لايعارضها — أى الشعارات — الاسلام ، وبالتالى لايعد ترديدها ابان الثورة دليلا على رواج أو نضوج التيار العلمانى . د. سميرة بحر : الأقباط فى الحياة السياسية المصرية ص ٨٣ كما أن شعار « الدين لله والوطن للجميع » يؤكد الوجه الاسلامى ولا ينفيه وذلك لتوافق الانتماء الوطنى والانتماء العقائدى فى الاسلام . د. عاصم الدسوقى : ثورة سنة ١٩١٩ فى الأقاليم ص٣٥ بل وذهب التصور بأمير الشعراء أحمد شوقى الى حد القول بأن الأقليات غير الاسلامية كانت مرتبطة بالدولة العثمانية — وهو مانعبر عنه بالانصهار فى الكل الاسلامى — ، ويفهم ذلك من قوله فى قصيدته التى نظمها بمناسبة انتصار كمال أتاتورك على اليونان وتطهير الأناضول والتى بدأها بقوله :

الله أكبر كم فى الفتح من عجب
يا خالد الترك جدد خالد العرب

جاء قوله :

ومسلموا الهند والهندوس فى جزل
ومسلموا مصر والأقباط فى طرب

ديوان شوقى — جا ص٥٩ — ٦٣ . ، وعن أثر التسامح الاسلامى على انحلال الكنيسة انظر : توماس أرنولد : الدعوة الى الاسلام ص١٤٩ ومابعدها .

ذلك — على سبيل المثال — فى قول المفكر القبطى « سلامة موسى » حينما سئل عن سبب دفاعه عن العالم العربى وهو من الأقلية القبطية فأجاب **أنه يدافع عن الاســلام لأنه دين وطنه الذى** عاش فى أحضانه ، كما ذكر السياسى القبطى « مكرم عبيــد » **أنه « مسيحى دينا ولكنه مسلم وطنا[١٣] »** ، كما قال فى دعوته للوحدة العربية « ان تاريخ العرب سلسلة متصلة الحلقات لا بل شبكة محكمة العقد واذا علمت أن رابطة اللغة والثقافة العربية فى هذه الأقطار أوثق منها فى أى قطر من أقطار الأرض ، وأن **التسامح الدينى نشأ وترعرع ومازال موجودا بين أصــــحاب الأديان كلها فى الجارات الشقيقة** ، أيقنت أن المقصود بقــول : « المصريون عرب » هو هذه الوشائج وتلك الصلات التى لــم تضمها الحدود الجغرافية ولم تنل منها الأطماع السياسية[١٤] .

= قام الأقباط ابان الحملة الفرنسية بمد يد العون الى الثوار فى ثورتى القاهرة الأولى والثانية وبرز منهم المعلم جرجس جوهرى وفلتاؤوس وملطى فقــد أمدوا الثوار بالذخائر والأموال وذلك برغم انضـــمام المعلم يعقوب وبعض الأقباط الى جانب الفرنســيين . د. عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها جـ٢ ص٩٤٠ .

(١٣) د. أحمد سويلم العمرى : أصول النظم السياســية المقارنة ص١٠٥ ومابعدها .

(١٤) د. سميرة بحر : الأقباط فى الحياة السياسية المصرية ص ١١٨ .

وقال سياسى قبطى آخر وهو ويصا واصف للصحفيين الانجليز فى ٦ يناير سنة ١٩٢٠ : « انكم لم تخاطبوا مواطنينا فقط ولكنكم خاطبتم خصومنا الذين تسمونهم (محايدين) وقد قالوا لكم كل مايمكن أن يسىء الينا . قالوا لكم أننا لم نبلغ رشدنا لانقبل المعارضة ، ثم قالوا لكم **أننا كأمة اسلامية** لايمكن أن تتطور خارج الدين الاسلامى **وأن الاخاء بين المسيحيين والمسلمين واليهود** مصطنع لايدوم وأن التساهل الذى تروته من مستلزمات القضية[١٥] ، اذا أردتم الحكم علينا فجردوا أنفسكم من المعتقدات القائمة فيها بغير حق كما هى الحال عند جميع الشعوب عندما **يريدون** الحكم على غيرهم، فهل سألتم المعارضين عن الدليل الذى يثبت أن الدين الاسلامى يخالف كل قوانين التطور . ذكرتم لنا رجال تركيا الفتاة وانى لا أعرف أمة تفخر بجنسيتها مثل الأمة التركية التى تضعها فوق كل شىء ، فالمثل الذى يضرب لكم غير مجد ، والحقيقة أنكم بصفتكم أنجلو سكسون تدخل فكرة الوطنية فى فهمكم للدين ، ولكن ذلك مخالف لروح الاسلام الذى يريد أن يكون جامعا ويشبه فى ذلك الدين الكاثوليكى » ، « ونحن المسيحيون فى مصر ليس لكنيستنا مرام أبعد من حدود معينة وانى أعتقد أنكم تحكمون على الاسلام فى ضوء فهمكم الخاص »[١٦] .

---

(١٥) المقطم : ٦ يناير ١٩٢٠ .

(١٦) المقطم : ٦ يناير سنة ١٩٢٠ .

ولقد سبق لكرومر تأكيد هذه الحقيقة حينما أراد أن يتخذ من أقباط مصر ــ الذين يرتبطون معهم برابطة الدين ــ حلفاء ، فقد أدرك أن الاختلاف بين المسلمين والقبط قليل ، بل ان القبطى المصرى هو من رأسه الى قدمه مسلم ، والمرأة القبطية كما هو حال المسلمة معزولة ، وكذلك الشأن فى الأطفال وعادات الزواج، ومراسم الجنائز ، تكاد تكون مشابهة لنظائرها عند المسلمين ، وقد أدى به هذا الى أن يقرر أن الفرق بين المصرى المسيحى والمصرى المسلم هو اختلاف مكان تأدية العبادة فقط(١٧) .

---

(17) Gromer : Modern Egypt. p. 617 - 622.

الاتجاه الاسلامى وأثره فى قيام الثورة :

الثورات كالهزات الأرضية كلاهما لايأتى من فراغ ، وكما يقول المؤرخ عبد الرحمن الرافعى أنها « ليست حركات ميكانيكية تبدو فجأة للناظرين بل هى حوادث اجتماعية تتمخض عنها حياة الشعوب تبعا لدرجة استعدادها ، ونتيجة لسريان روح الوطنية فى نفوس أبنائها »[1] .

ومن هنا فان تفسير ثورة الشعب المصرى سنة ١٩١٩ بأنها ثورة سياسية فقط يعد تفسيرا قاصرا ، فهى — كما يرى البعض — ثورة شاملة « قامت بفعل تراكمات وتناقضات حادة عنيفة الجذور »[2] . كما أنه اذا كانت العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية عوامل لها أهمية بالغة فى قيام الثورة الا أن العامل الدينى يأتى فى مقدمة هذه العوامل[3] ، فالذين

---

(١) عبد الرحمن الرافعى : ثورة سنة ١٩١٩ جـ١ ص ٦٢ .

(٢) د. عبد الخالق لاشين : سعد زغلول ودوره فى السياسة المصرية ص ٢٠٨ .

(٣) د. محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر جـ٢ ص٢٢ ، ٢٣ . ، د. زكريا سليمان بيومى : الاخوان المسلمون الجماعات الاسلامية ص ٣٩ . ،

Marshall. J.E. The Egyptian Enigma (1890 - 1928) London 1928, p. 165.

يعتبرون هذه الثورة ثورة سياسية يعللون وجهة نظرهم « بأن الاستغلال والقهر والظلم قديم فى مصر ومع ذلك لم يشهد تاريخها الحديث — على أقل تقدير — مثل هذه الثورة[٤] ، لكن ذلك يؤكد العامل الدينى على غيره حيث تكمن فيه الاجابة على التساؤل : أكان من الممكن أن يثور الشعب المصرى مهما تحمل وعانى ضد دولة الخلافة ؟ . ان تفسير تحمل المصريين لفساد الادارة العثمانية يكمن فى سيادة الانتماء العقائدى عندهم على كل انتماء ، لكن الظلم والقسوة والاستغلال اذا ماصدر عن أجنبى « غير مسلم » أو « كافر » أو « ذمى » جرى النظر اليه طوال التاريخ الاسلامى باعتباره يخضع لحماية الاسلام والمسلمين « فان ذلك يمس مشاعر المصرى الدينية ، ويجرح كبرياءه الوطنى » ، ولم يكن أمامه الا أن يهب للدفاع عن نفسه « وليس فى ذلك أى تعصب دينى أو شوفونية عقيدية »[٥]

ومن هنا فان الثورة فى مصر سنة ١٩١٩ كانت نتاجا طبيعيا لجهود عديدة من أبناء مصر الذين عبروا عن رفض شعب مصر المسلم للقهر والظلم والاستبداد والخضوع لغير المسلم بدءا من

---

(٤) د. عبد الخالق لاشين : المرجع السابق ص٢٠٩ .

(٥) د. عبد الخالق لاشين : المرجع السابق ص ٢٠٩ ، ٢١٠ . ، وحول هذا المعنى أنظر : د. جلال يحيى : الثورة والتنظيم السياسى ص١٦٥ — ١٦٨ .

السيد جمال الدين الأفغانى والشـــيخ محمد عبده وأحمد عرابى وصحبه وعبد الله النديم ، وتوجت جميعها فى دعوة الحــزب الوطنى وزعيمه مصطفى كامل ومن بعده محمد فريد والشـــيخ عبد العزيز جاويش حيث أسهموا جميعا فى تبديد اليأس الذى خيم على المصريين بعد فشـــل الثورة العرابية ومجىء الاحتلال، ووضعوا صيغة مقبولة للحركة الوطنية ربطوا فيها بين الانتماء العقائدى (الممثل فى دعــوة الجامعة الاسلامية) والانتمـــاء الوطنى (الدعوة لاســـتقلال مصر) فالتقت بذلك مع مفهوم الوطنية فى الاسلام وهو مفهوم روج له مجموعة من المفكـــرين المسلمين فى مصر من أمثال رفاعة الطهطاوى .

وعبر عن هذا الاتجاه عبد الرحمن الرافعى فى قولـــه : « ان لجهاد مصطفى كامل ومحمد فريد وأنصارهما وتلاميذهما أثرا كبيرا فى قيام ثورة سنة ١٩١٩ ذلك بما غرسوا فى النفوس من الدعوة الى الجهاد الخالص لله والوطن (٦) ، كما عبر عنـــه الزعيم محمد فريد بقوله معلقا على قيام الثورة : « نشكر الله على هذه النتيجة الحسنة التى دلت على أن ما ألقاه مؤسسوا

---

(٦) عبد الرحمن الرافعى : ثورة سنة ١٩١٩ جا صـ٦٢ . ، وقد اكد سعد زغلول هذا المعنى فى اكثر من مناسبة ، ٥٠ عاما على ثورة سنة ١٩١٩ صـ٢٤ .

الحركة الوطنية من البذور فى تلك الأرض الخصبة قد نبت وترعرع ساقه ثم أزهر وظهرت ثماره »[٧] .

وقد أدركت البعثات التبشيرية فى مصر هذا الاتجاه وأوضحته فى تقريرها عن ثورة سنة ١٩١٩ فأكدت « وجود ارتباط كبير بين مفهوم الدين والدولة فى الحركة الوطنية ، فالخليفة ليس زعيما روحيا فحسب وانما هو زعيما سياسيا كذلك » ، وأن « هذه المفاهيم سائدة بين العامة وبين المثقفين والمتعلمين واتضح هذا فى حركة عرابى ومصطفى كامل بعد ذلك ، وكانت ثورة سنة ١٩١٩ تحت السطح ، وكانت بعض الشعارات تنادى بأن « الجحيم مع الأتراك أفضل من الجنة مع المسيحيين البريطانيين »[٨] .

ويرى البعض أنه لولا هجرة محمد فريد ثم الشيخ عبد العزيز جاويش الى أوربا ثم قيام الحرب العالمية الأولى

---

(٧) عبد الرحمن الرافعى : ثورة سنة ١٩١٩ جـ٢ ص — ٦٦ . وكانت دعوة محمد فريد لتوضيح نوايا الأتراك تجاه مصر والمطالبة بالمساواة معهم مثل النمسا والمجر ردا على ماظهر من أطماع بعض القوميين الأتراك ، لكن استمرار طلب الارتباط بتركيا كان هدفا اسلاميا أكثر منه قوميا . عبد العظيم رمضان : الحركة الوطنية ١٩١٨ — ١٩٣٦ ص٦٢ .

(٨) د. عاصم الدسوقى : ثورة سنة ١٩١٩ فى الأقاليم ص٣٧

وماتبعها من اعلان الحماية البريطانية على مصر وتقييد حرية المصريين ونفى زعمائهم واغلاق صحفهم ، لكان من الممكن أن تنشب الثورة فى مصر قبل سنة ١٩١٩ (٩) .

وحينما بدأت الحرب العالمية الأولى وأعلنت بريطانيا الحرب على ألمانيا وصدر قرار مجلس الوزراء المصرى بمنع التعامل مع ألمانيا رأى بعض السياسيين المصريين كأحمد لطفى السيد استغلال هذا الموقف وطلب استقلال مصر اذا دخلت تركيا الحرب الى جانب ألمانيا ، ولكن السير رونالد جراهام المستشار البريطانى لوزارة الداخلية المصرية رفض هذا الاقتراح لأن مصر اذا حصلت على استقلالها « ستكون مرغمة على تأييد الامبراطورية العثمانية ضد بريطانيا وليس العكس لأن الرأى العام المصرى يعطف على الخلافة ويعادى بريطانيا » وقال : « يا صاحبى نحن نعرفكم كما تعرفون أنفسكم فحين ظهور أول طربوش تركى فى القنال تتركونا وتجرون وراءه »(١٠) .

---

(٩) محمد صابر عرب : الحركة الوطنية فى مصر ١٩٠٨ — ١٩١٤ ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية اللغة العربية جامعة الأزهر سنة ١٩٧٩ ص ٣٠٨ ، ٣٠٩ .

(١٠) مجيد خدورى : عرب معاصرون ص٣٢٠ . ؛ ٥٠ عاما على ثورة سنة ١٩١٩ : ص ٤٦ . ، عبد الرحمن الرافعى : ثورة سنة ١٩١٩ جـ٢ ص١٣ . وقد صدر قرار مجلس الوزراء المذكور فى ٥ اغسطس سنة ١٩١٤ .

وحينما أعلنت الأحكام العرفية فى مصر فى الثـــانى من نوفمبر سنة ١٩١٤ حذر المنشور الصادر بهذا الصدد المصريين من الانضمام لأعداء بريطانيا (يقصد تركيا) ، وفى أعقاب اعلان بريطانيا الحرب على تركيا لدخول الأخيرة الحرب الى جانب ألمانيا منحت انجلترا مستشارها فى وزارة الداخلية المصرية صلاحيات عسكرية جعلته يقوم بالقبض على طائفة من الأتراك وكثير من أتباع الحزب الوطنى المتشيعين لتركيا مخافة اثـــارة الرأى العام المسلم ضد بريطانيا[(١١)] ، وهو أمر يبدو فيما تضمنه المنشور حيث جاء فيه « ولعلم بريطانيا العظمى بما للســـلطان بصفته الدينية من الاحترام والاعتبار عند مسلمى القطر المصرى فقد أخذت بريطانيا العظمى على عاتقها جميع أعباء هذه الحرب بدون أن تطلب من الشعب المصرى أية مساعدة ، ولكنها مقابل ذلك تنتظر من الأهالى وتطلب اليهم الامتناع عن أى عمل من شأنه عرقلة حركات جيوشها الحربية أو أداء أى مســـــاعدة لأعدائها[(١٢)] » . واستتبع ذلك استصدار الاحتلال لفتوى من بعض مشايخ الأزهر فى ١٩ نوفمبر سنة ١٩١٤ — وهذا من

---

(١١) ٥٠ عاما على ثورة سنة ١٩١٩ ص٥٦ ، عبد الرحمن الرافعى : ثورة سنة ١٩١٩ جـ٢ ص٣٠ ، ٣١ .

(١٢) عبد الرحمن الرافعى : ثورة سنة ١٩١٩ جـ٢ ص١٧ .

المواقف السلبية للازهر — تدعو السكان الى احترام النظـــام والامتناع عن الاتيان بأى عمل سياسى(١٣) •

وعقب اعلان الحماية فى الثامن عشر من ديسمبر سنة ١٩١٤ صدر قرار بخلع الخديو عباس حلمى الثانى وتعيين السلطان حسين كامل سلطانا على مصر ألح السلطان الجديد فى طلب منح مصر استقلالها كبديل لانهاء السيادة العثمانية « لأن قيام حالة الحرب ضد خليفة المسلمين سوف تثير المصريين الى درجه كبيرة اذ هم يدينون بالولاء له » (١٤) • ورغم حـــركة الاعتقـــالات الواسعة والاجراءات القمعية وجلب عـــدد كبير من الجيش البريطانى والبوليس وتجنيد اليونانيين والرقابة على كافة الأجهزة من بريد وبرق ومواصلات وغير ذلك ، والرقابة الشـــديدة على الصحف لدرجة وصفها « سلامة موسى » بقوله : « كنا نقـــرأ الأخبار كما يحب الانجليز أن نفهمها »(١٥) ، رغم كل هذا ظل العامل الدينى يحرك المصريين للثورة ، فقامت محاولتان لاغتيال السلطان حسين كامل لقبوله العرش بقرار من الانجليز وفى نفس

---

(١٣) محمد صابر عرب : الحركة الوطنية ص٣٤٧ •

(١٤) ٥٠ عاما على ثورة سنة ١٩١٩ ص٤٨ ، ٤٩ •

(١٥) د• محمد أنيس : أزمة الحركة الوطنية ابان الحـــرب الأولى — الأهرام ١٩٧٢/٦/١٦ •

الوقت كتعبير للتعاطف — الذى ظل مستمرا — مع الخديو السابق الذى لجأ الى دولة الخلافة[١٦] ، وذلك على الرغم من أن بريطانيا قد أعلنت فى قرارها بتعيين السلطان حسين كامل أنها تعـادى حكومة الاتحاديين ولا تعادى الخلافة لأنها تعلم ارتباط المصريين بهـا[١٧] .

وحينما بدأ الاعداد للحملة التركية على مصر أعد الخديو عباس حلمى الثانى منشورا حاول فيه اثارة مشاعر المصريين حيث تضمنت كلماته « جلالة الخليفة » « أمير المؤمنين » « العناية الالهية »[١٨] ، فى حين ألقت السلطات البريطانية القبض على البقية الباقية من المتشيعين للحزب الوطنى مثل أحمد جاويش والشيخ محمود خطاب ووجـدوا فى بيت الأخير أوراق وكتب وأسلحة ، كما صدر أمر القائد البريطانى محذرا لمن توجد لديه منشورات تدعو للتعاون مع الحملة التركية[١٩] .

---

(١٦) د. محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية ، ج ٢ ص ٢٢ ، ٢٣ .

(١٧) د. محمد محمد حسين : المرجع السابق ص١١ .

(١٨) أحمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن ج٢ ص٣٨١ .

(١٩) د. خليل صابات وآخرون : حرية الصحافة فى مصر ١٧٩٨ — ١٩٢٤ ، ص٣٠٧ ، ٣٠٨ .

وبرغم كل ذلك كان البريطانيون يتوقعـــون مســـــاعدة المصريين للحملة فاحتفظوا بقوة كبيرة فى القاهرة وفرضـــــوا اجراءات أمن قوية ، فضلا عن أنهم قد حشـــــدوا جيشا كبيرا لمواجهة هذه الحملة فاق خمس أمثال جيش جمال باشا[٢٠] . وقد منعت اجراءات الأمن وحركة النفى المصريين من القيـــام بعمل كان ينتظره منهم الأتراك ، الى جانب أسباب عديدة فى قيادة الحملة أسهمت فى فشلها[٢١] .

على أن ماينبغى الاشارة اليه هو أن المصريين الذين كانوا فى صفوف الجيش البريطانى قد رفضوا اطلاق النار على الأتراك ، كما أن الانجليز قد تمكنوا من اخماد ثورة — محدودة — كان بعض شباب الحزب الوطنى قد أعدوا لها فى المنصورة لمساندة الحملة التركية فور عبورها للقناة[٢٢] ، وهو أمر تؤكده حركة

---

(٢٠) عبد العظيم رمضان : الحركة الوطنية ١٨ — ١٩٣٦ ص ٥٧ — ٥٩ .

(٢١) د. زكريا سليمان بيومى : الحزب الوطنى ص ٢٠١ ، ٢٠٢ . ، لطيفة محمد ســــالم : مصر فى الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ — ١٩١٨ — رسالة ماجستير غير منشورة ص٥٦١ .

(٢٢) د. عبد الرشيد عبد العزيز ســـالم : على الغاياتى ص ٣٨ . ، د. زكريا سليمان : الحزب الوطنى ص ٢٠٢ . ، د. محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية جـ٢ ص١١ هامش ٦ . ،

الاعتقالات والنفى التى أعقبت فشل الحملة حيث نفى كثير من شباب الحزب الوطنى الى مالطة ، وحددت اقامة الكثير فى قراهم(٢٣) . وبرغـم هـذه الاجـراءات تكونت جماعة سرية سـنة ١٩١٨ تهدف الى الاتصال بالسـنوسيين للهجوم على الانجليز فى مصر(٢٤) .

وعقب سقوط الآستانة فى يد الحلفاء عم الحزن فى مصر ونظم شاعر النيل حافظ ابراهيم قصيدة قال فيها :

« أيا صوفيا » حان التفرق فاذكرى
عهـود كـرام فيك صلوا وسـلموا
اذا عدت يوما للصـليب وأهله
وحـلى نواحيـك المسـيح ومريم
ودقت نواقيـس وقـام مزمـر
مـن الـروم فى محـرابه يتـرنم

أحمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن ، جـ٣ ص٢٨ — ٣٠ ، د. محمد حسين هيكل : مذكرات فى السياسة المصرية — جـ ١ ص ٧٢ .

(٢٣) د. أحمد عبد الرحيم مصطفى : تاريخ مصر السياسى ص ٩٤ .

(٢٤) د. محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية جـ٢ ص١٢

فلا تتنــكرى عهــد المآذن انــه
على الله من عهد النواقيس أكرم[٢٥]

وقال الشاعر أحمد محرم : —

الترك جند الله لولا بأسهم لم يبق فى الدنيا مقيم أذان

وخاطب فكرى أباظة الترك بهذه المناســبة قائلا : حياكم الله أيها الأبطال ، أبطال الأناضول ، أنتم أبناء الموت وبنــو الكريهة وخواضوا الغمرات ، وختم مقاله بـ : أيها الأعداء ... ان تركيا لم تمت وأن تركيا لن تموت »[٢٦] .

ولم يكن الوجه الاسلامى خافيا منذ أول يوم من قيام

---

(٢٥) د. محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية جـ٢ ص٢٥

(٢٦) د. محمد محمد حســـين : الاتجاهات الوطنية جـ٢ ص ٢٨ ، ٢٩ . وفى ذلك رد على ماجاء فى جريدة « النظام » من أن المصريين المسلمين تغاضوا عن العلاقات الدينية التى تربطهم بخلافتهم « وســاعدوا الحلفاء على قتالها وكسرها » ، وكانت « النظام » تحمل وجهة نظر قلة من المثقفين الليبراليين الراغبين فى تكوين الجماعة السياسية على أساس قومى ، وأن انحســار أيديولوجية الجامعة الاسلامية لايعنى غياب أو ضــعف العامل الدينى . أنظر : طارق البشرى : المسلمون والأقباط ص١٤٣ . ، رمزى ميخائيل جيد : الوحدة الوطنية فى ثورة سنة ١٩١٩ ص٥٠

الثورة — وهو أمر أكدته العديد من الدراسات الأوروبية[٣٧] — فيتخذ الثوار من الأزهر مقرا للاجتماعات[٢٨] ، والذين يثيرون الثوار هم مشايخ الأزهر ، أو غيرهم ممن يتخذون منابر المساجد ، وحتى الخطباء من الأقباط يخطبون فى الأزهر الذى « لم يكن غير مركز للتسامح الدينى » حيث « تآخى المسلمون مع غيرهم من مواطنيهم » ، ويدلل خطباء المسيحيين على التآخى بين المسلمين والأقباط بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة[٢٩] . ويخطب مشايخ الأزهر فى الكنائس لتأكيد هذا التسامح لشحذ الهمم للدفاع عن الوطن — الدين لله والوطن للجميع — وهو أمر تتضمنه أيديولوجيتهم لا لصبغ الثورة بالصبغة القومية ، كما لم يكن تعبيرا عن نضوج تيار علمانى ليبرالى جديد — كما يرى البعض — حيث لم يكن الوعى بمثل هذا التيار قد خرج عن فئة محدودة من المثقفين ثقافة غربية ، وساندته — عن غير وعى — مجموعة من الأقباط[٣٠] .

---

(٢٧) د. عاصم الدسوقى : ثورة سنة ١٩١٩ فى الأقاليم ص ٣٥ .

(٢٨) عبد العظيم رمضان : الحركة الوطنية ١٩١٨ — ١٩٣٦ ص ١٣٥ حيث يذكر أنه فى ١٨ مارس سنة ١٩١٩ حينما اجتمع عمال العنابر وبعض الصناع قصدوا الأزهر لولا رصاص الانجليز .

(٢٩) جريدة مصر : ١ أبريل سنة ١٩١٩ « المسلمون فى الكنائس القبرطية والقسوس فى الأزهر الشريف » .

(٣٠) طارق البشرى : المسلمون والأقباط ص ١٤٠ ، د. سميرة بحر : الأقباط ص ٨٠ .

واذا كان قد حدث اعتداء من بعض المصريين المسلمين على الأرمن فانه كان بمثابة رد فعل لموقفهم من الأتراك ، وقد بدا رد الفعل هذا ضد الايطاليين واليونانيين فى الاسكندرية فى مايو سنة ١٩٢١[٣١] ، لكنهم سرعان ماعادوا لسماحهم فبذل مشايخ الأزهر الكثير لاقناعهم بحماية المصريين دون طلب الحراسة البريطانية[٣٢] .

ويدرك الاحتلال خطورة تأثير الأزهر فتستدعى دار الحماية الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوى شيخ الأزهر وتطلب منه غلق الأزهر فيرفض فيحاصر الانجليز الأزهر ويمنعون اجتماعا كان سيعقد فيه فيتجه المجتمعون الى مسجد بن طولون[٣٣] .

ويشكل الأزهر قوة « البوليس الوطنى » فتنعم من العامة بالطاعة والتأييد والمساعدة ، فيصدر الاحتلال أمرا فى ١٧ أبريل سنة ١٩١٩ يتضمن التهديد باعتقال من يحمل شعار هذا

---

(٣١) د. محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية جـ٢ ص٢٢ ، ٢٣ .

(٣٢) ٥٠ عاما على ثورة سنة ١٩١٩ ص ٣١٥ ، ٣١٩ .

(٣٣) عبد الرحمن الرافعى : ثورة سنة ١٩١٩ جـ١ ص٢٥٩ .

البوليس [٣٤] ، ويشكل الأزهر لجنة من مشايخة لجمع المال للاضراب [٣٥] .

ولم تجد سلطات الاحتلال من بد سوى البحث عن كيفية التعاون مع مجموعة من مشايخ الأزهر فى محاولة لتهدئة — أو تخدير — الجماهير فيعقد « اجتماع كبير فى الأزهر يحضره ١٢ ألف شخص وقرأ عليهم أحد المشايخ برقية قيل أنها من الرئيس الأمريكى ولسن للوكيل الفرنسى فى مصر جاء فيها مناشدة الانجليز بمغادرة مصر فورا [٣٦] ثم يعقد اجتماع للغرض نفسه فى ١٩ أبريل سنة ١٩١٩ فى الازهر يطرح فيه مدى معاناة الأسر المصرية التى لا تستطيع « تحمل الجوع » [٣٧] ثم تتسرب الشائعات عن اختلاس بعض مشايخ الأزهر لثلاث آلاف جنيه كانت قد جمعت لأسر الشهداء والمضربين [٣٨] ، ثم يقترح أحد السودانيين من مشايخ الطرق

---

(٣٤) ٥٠ عاما على ثورة سنة ١٩١٩ ص٣٢١ ، ٣٢٢ .

(٣٥) ٥٠ عاما على ثورة سنة ١٩١٩ ص٣١٦ .

(٣٦) ٥٠ عاما على ثورة سنة ١٩١٩ ص٣٢٧ .

(٣٧) ٥٠ عاما على ثورة سنة ١٩١٩ ص٣٢٥ .

(٣٨) ٥٠ عاما على ثورة سنة ١٩١٩ ص٣٢٦ . . وقد وجد بعض المشايخ ممن تعاملوا مع سلطات الاحتلال ضد الحركة الوطنية . د. عاصم الدسوقى : ثورة سنة ١٩١٩ فى الأقاليم ص٩٩، ١٠٠ .

الصوفية أن يسافر وفد من السودانيين الى باريس « ليعلنوا أمام المؤتمر ولاءهم للبريطانيين ويؤكدوا سعادتهم بالحكم البريطانى وتقدمهم فى ظله [٣٩] » .

وفى ريف مصر كان الفلاحون — لسلامة طويتهم — « يقعون تحت تأثير مفاهيم دينية حول العقيدة والايمان تلقى عليهم فتجعلهم يطلقون النار دون وعى [٤٠] » . وبرغم الادعاء بجهل هؤلاء الفلاحين بالأحوال السياسية ذكر سير . م . تشيتام فى برقية الى ايرل كيزرون فى ١٩ مارس سنة ١٩١٩ « أن العلم التركى فى بعض القرى » [٤١] .

وقد صور مجلس الجالية البريطانية — وهو مجلس يمثل كافة المصالح البريطانية فى مصر فى مختلف المجالات والمؤسسات — هذه الحقيقة فى تقريره حيث ذكر « أن السلطات البريطانية لم تدرك جيدا المقولة المعروفة بأن حكم شعب مسلم بواسطة أمة مسيحية من شأنه أن يشحن الوضع القائم بأخطار معينة وأن تجنب الاضطرابات يتطلب قدرا كبيرا من التعقل والرزانة فى معالجة الموقف » [٤٢] .

---

(٣٩) ٥٠ عاما على ثورة سنة ١٩١٩ ص٣٢٦ .
(٤٠) د. عاصم الدسوقى : ثورة سنة ١٩١٩ فى الأقاليم ص٣٧
(٤١) ٥٠ عاما على ثورة سنة ١٩١٩ ص٢١٧ .
(٤٢) د. عاصم الدسوقى : المرجع السابق ص٤٠

وأقر الدكتور « جريس ميسفور » بتطابق الجنسية مع العقيدة الدينية فى مصر والشرق كله ، وأن هتافات طلبة الأزهر « يحيا الوطن » كانت تعنى « يحيا الدين » ، وأن شعور العداء لانجلترا ليس بسبب أنها دولة أجنبية ولكن لأنها دولة غير اسلامية (٤٣) .

---

(٤٣) د. عاصم الدسوقى : ثورة سنة ١٩١٩ ص ٣٥ ، ٣٦ .

مدى تعبير قادة الوفد الذين حاولوا صبغ الثورة بالصبغة العلمانية عن المصريين :

على الرغم من اجماع أغلب الصحف التى كانت تصدر ابان ثورة سنة ١٩١٩ على أنها ثورة علمانية ، الا أن هذه الصحف لم تكن تعبر عن رأى غالبية المصريين حيث كانت بعض هذه الصحف خاضعة لمجموعة من المثقفين العلمانيين الذين وصلوا الى قيادة ثورة سنة ١٩١٩ « كالأهرام » « والنظام » و « الأفكار » و « الأخبار » ، وكانوا حريصين على الترويج لفكرهم فضلا عن أنه يتمشى مع أسلوبهم السياسى المعتدل الى جانب حرصهم على نفى صفة التطرف الدينى والسياسى فى محاولة لجذب انتباه وتأييد الرأى العام الأوروبى [١] . وكان البعض الاخر مملوك للاقباط « كمصر » و « الوطن » أو لنصارى شوام مثل « المقطم » وهم فى مجموعهم يروجون لهذا الاتجاه اما ايمانا به أو لأنهم يلوزون بأى من التيارات البعيدة عن الاسلامية ، أو بمعنى آخر « لأن قوميتهم ــ كمسيحيين ــ

---

(١) وقد كتب أغلب هؤلاء مذكراتهم التى تعتبر المصدر الثانى بعد الصحف الذى صبغ الثورة بالصبغة العلمانية .

كانت قومية علمانية لا تصطبغ بالصـــبغة القومية العربيـــة الاســـلامية (٢) .

وهناك عوامل أخرى ساعدت على التمادى فى صـــبغ

---

(٢) د. سميرة بحر : المدخل لدراسة الأقليات ص١٠٩ .. وقد خضعت الصحف جميعها لرقابة شديدة ، أنظر :

F.O. 407/184, No. 144 From Allenby to Curzon, 4 April 1919.

كما أن بعض هذه الصحف كان مواليا للاحتيال «كالوطن» و « البصير » . ومما يؤكد أن هذه الصحف فى منهجها وبفعل الرقابة لم تكن تعبر عن آراء الجماهير لجوء الجماهير الى المنشورات السرية التى وصفها الاحتلال بالتطرف ، والتى شارك فيها الحزب الوطنى وحمل أغلبها الطابع الدينى ، أنظر : د. خليل صـــابات وآخرين : حرية الصحافة فى مصر ٣٢٨ ، ٣٢٩ . وكانت هناك صحف سرية مثل « الرعد المصرى » و « البلابل » و « المـــرزبة » و « الطلبة » و « الوفد المصرى » و « أبو الهول » و « المصرى الحر » وقد بذلت سلطات الاحتلال قسطا كبيرا فى مهاجمتها ، أنظر :

F.O. 407/184, No. 240, From Allenby to Curzon 6 April 1919.

وحاول الانجليز منع المقالات التى تحض المصريين ولو بأسلوب غير مباشر على الثورة والتى جاءت فى الصحافة الأجنبية كالصحافة الفرنسية انظر :

F.O. 407/181, No. 327, From Curzon to Allenby 16 May 1919.

الثورة بالصبغة العلمانية تتمثل فى هزيمة دولة الخلافة وانحسار فكرة الجامعة الاسلامية وتراجع المؤسسات التقليدية الاسلامية فى مصر وفى مقدمتها الأزهر ، الى جانب غيبة — من سموا بالمتطرفين — زعماء الحزب الوطنى الذى روجوا للايديولوجية الاسلامية الوطنية ، كما أن الثورة لم تكن تحمل العداء للاجانب أو أن لها اتجاها عربيا •

وسبق التوضيح بأن هذه العوامل لم تستطع أن تخفف أو تقلل أثر العامل الدينى — عند غالبية المصريين — فى قيام الثورة• وسنحاول الان أن نجيب على التساؤل الى أى حد كانت المجموعة المكونة للوفد والتى أسهمت الظروف فى وصولها الى زعامة ثورة سنة ١٩١٩ وعلى رأسهم سعد زغلول — وهم الذين صبغوا الثورة بالصبغة العلمانية — تمثل الجماهير الثائرة ؟ وهل كان الوعى بالتيار العلمانى ناضجا لدى هذه الجماهير ؟ •

وتنتمى هذه المجموعة — من المعتدلين — الى حزب الأمة ، ذلك الحزب الذى كان يمثل مجموعة من البورجوازيين المصريين وكبار الملاك ، وكان أغلبهم قد تلقى تعليمه فى أوربا ، ولهذا انحصرت تصوراتهم لحل مشكلة البلاد فى الارتباط بالغرب والحضارة الغربية وتنمية الانتماء القومى دون الارتباط بدولة الخلافة وبالتالى بفكرة الجامعة الاسلامية •

وقد نعم هذا الفريق ـ ومنذ البداية ـ بمساندة الاحتلال البريطانى الذى نمى آمالهم فى الاعتماد عليه والتفاهم المباشر معه اذا ماأرادوا تحديث بلادهم ، كما رأى هذا الفريق أنـه اذا كان من ضرورة للاستعمار فانهم يختارون الاسـتعمار البريطانى (٣) .

وكان سعد زغلول ينتمى لهذه المدرسة « التى تختلف مع مدرسة الحزب الوطنى التى كانت تأبى الاعتراف بالانجليز والتعامل معهم واعداد الجماهير لمجابهتهم » ، ولهذا فانه فى الوقت الذى خطط فيه الاحتلال لنفى واعتقال زعماء الحزب الوطنى لاخلاء الميدان منهم حتى يؤكد لنفسه فى مصر ، كان يقرب اليه مدرسة حزب الأمة كى يهيىء الميدان لفئات جبلت على التعامل المباشر معه ، ورحبت باعلانه للحماية حيث اعتبروها أكثر ملاءمة لمصلحة الأمة ومستقبلها ، وكان لهذا يدفع مرتباته

---

(٣) عبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية ١٩١٨ ـ ص ٦٠ ، ٦١ ، ٨٦ ، ٨٧ . مع العلم بأن اعتبار الوجود العثمانى استعمار مغاير للحقيقة ، فعلى الأقل كانت العلاقة بين مصر ودولة الخلافة قد قننتها معاهدة لندن سنة ١٨٤٠ ونالت مصر بموجبها استقلالا يكاد يكون تاما .

لبعضهم كسعد زغلول ورشدى باشا ويمنحهم معاشات تقاعدية الى حين وفاتهم (٤) .

ومن حيث تشكيل الوفد فلم يكن سعد زغلول صاحب فكرته أو مؤسسه كما شاع بعد ذلك ، بل أنه حينما عرضت عليه فكرة تشكيل الوفد لأول مرة من محمد محمود باشا رفض بحجة « أن الوقت غير مناسب لأن الانجليز منتصرون وعددهم ومعداتهم كثيرة تملأ البلاد .... وهذا وضع لا أمل معه فى الحصول على شىء منهم » (٥) ، وكان سعد بهذا يواصل خطب

(٤) د. مكى شبيكة : بريطانيا وثورة سنة ١٩١٩ المصرية ص ٥٣ .

(٥) عبد العزيز فهمى : هذه حياتى ، تقديم طاهر الطناحى ، ص ٧٢ ، ٧٣ . ، ويرى البعض أن أول من فكر فى الوفد رئيس الجالية الفرنسية وأبلغ بها حافظ رمضان (الذى أصبح رئيسا للحزب الوطنى بعد ذلك) ، وقد نقل الفكرة الى سعد زغلول بحكم جيرتهما وصداقتهما فاستخف بها ، لكن لما أعيد عرضها فى عيد جلوس السلطان فؤاد عاد واهتم بها ، فتحى رضوان : مشهورون منسيون — ص ٦٠ . ، هويرى البعض أن صاحب الفكرة هو الأمير عمر طوسون ، وأن سعد زغلول ورفاقه قد خططوا لابعاده عن زعامة الوفد بحجة أن « خطة التفاهم المباشر مع الانجليز كانت لا تتفق مع نظرة الأمير الى المسألة المصرية كمسألة دولية ، ومن ثم فلم يكن من المتوقع أن تحظى بموافقته عليها . وكذلك ما عرف عن الجفاء بين الأمير والانجليز لم يكن من العوامل التى تشجع سعد ورفاقه على ضمه لصفوفهم بعد تقريرهم الاتصال المباشر مع الانجليز » عبد العظيم رمضان : المرجع السابق ص٨٧ .

ود الانجليز حتى يعين فى منصب الوزارة ، لكن بعد أن رفضت وزارة الخارجية البريطانية ترشيحه للوزارة ، وكانت فكرة الوفد قد سرت بين العديد من رجال السياسة ، وافق سعد على الانضمام اليـــه [٦] .

وقد خلا الوفد فى تشكيله سنة ١٩١٨ من ممثلين للعمـــال والفلاحين الذين يمثلون أغلبية شعب مصر [٧] ، كما أن رئاسة سعد زغلول للوفد المشكل لم تكن تشغل بال سلطات الاحتـــلال فى مصر ، فيكتب مان تشاتهام القائم بأعمال المندوب الســـامى الى اللورد كيرزون وزير الخارجية رسالة فى ٢٤ فبراير سنة ١٩١٩ ذكر فيها أن « سعد زغلول ليس موضعا لثقة أحد » وأن « الموقف ـــ الذى لايشبه فى خطورته أن قليلا أو كثيرا ماكان عليه أيام مصطفى كامل ـــ لايستدعى الخوف أو يستوجب أن نتأثر به الحكومة الانجليزية فيما يتعلق بالمسائل الدســـتورية والشكل الذى يجب أن تصطبغ به الحماية » [٨] .

وفى أعقاب لقاء سعد زغلول وصحبه بالمندوب الســـــامى البريطانى لطلب الحصول على السفر ، أدرك المندوب الســـامى

---

(٦) ويفل ، (المارشـال) : اللبنى فى مصر ، ص٣٩ .

(٧) أمين عز الدين : تاريخ الطبقة المصرية ص ١١ .

(٨) د. أحمد عبد الرحيم عبد الرحمن مصطفى : تاريـــخ مصر الســـياسى ص ١١٠ ..

« أن سعدا وأنصاره خليقون بأن يكونوا أقل خطرا فى مؤتمر الصلح حيث سيتعين عليهم العمل فى جو لم يألفوه ، منهم فى مصر نفسها حيث كان فى ميسورهم أن يرسموا لبريطانيا الخطوط الرئيسية لسلوكها » [(٩)] .

وكان الانجليز يدركون أن انفجارا يلوح فى الأفق ، لكنهم قدروا أن يحدث فى الصيف حيث يتم تسريح الجيش الانجليزى ويكون رؤساء الحكومة غائبين فى أجازاتهم [(١٠)] ، وكانوا يخشون قيادة متطرفة تظهر فجأة لأنهم كانوا يدركون أن « هؤلاء الذين يطلق عليهم أعضاء الوفد لم تكن لهم شعبية تذكر حتى ذلك الوقت »[(١١)] ، وأن سعد زغلول لايثق شخص فيه ، وأنه يلقى هجوما بأنه لم يكن البطل الصالح للاستقلال ، وأنه بدأ يلقى صعوبات للاحتفاظ بمركزه فى أعين الناس[(١٢)] .

---

(٩) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص٧٢٥ ، وكان تأييد رشدى وعدلى لوفد سعد بالسفر ينبع من رغبتهما فى فشل مهمة سعد ورفاقه ولا ينفردا هم بالفشل .

د . مكى شبيكة : المرجع السابق ص٥٩ .

(١٠) ٥٠ عاما على ثورة سنة ١٩١٩ ص٢٦٩ . تقرير من المستر باتسرسون فى مايو سنة ١٩١٩ .

(١١) ٥٠ عاما على ثورة سنة ١٩٩ ص٢٦٩ .

(١٢) د . مكى شبيكة : المرجع السابق ص٥٤ ، ٦١ حيث يذكر ان تشيتام أرسل فى برقية بعث بها للندن فى ١٩١٩/٣/٦ أن ميل سعد للعنف يرجع الى رغبته — حسب تفسيره — فى احكام قبضته على طبقة المثقفين .

ومن هنا كان لابد من محاولة الربط بين الجماهير التى قد تثور فى أى لحظة وبين هؤلاء المعتدلين ، فجاء الربط — الذى مهدت له الصحف بمتابعة أخبار الوفد وتضخيم دوره — فى حادث القبض على سـعد ورفاقه واعتقالهم ونفيهم الى مالطة ، ويتضح ذلك فى التقرير الذى أرسله اللنبى الى كيرزورن فى ٤ مايو سنة ١٩١٩ حيث يذكر فيه : « وكانت الاثار المباشرة التى ترتبت على اعتقاله أن أصبح سعد زغلول ورفاقه أبطالا شعبيين »(١٣) .

وعلى الرغم من أن الثـورة قد قامت على أثر حـادث الاعتقال الا أنه كان أمرا مفاجئا لهؤلاء الزعماء المعتقلين ، فهم لم يعدوا للثورة(١٤) ، ولم يؤمنوا الا بسياسة التفاهم المبـاشر

---

(١٣) ٥٠ عاما على ثورة سنة ١٩١٩ : من اللنبى الى كيرزون فى ١٩١٩/٥/٤ ص٢٧٧ . ، د. زكريا سليمان : الحرب الوطنى ص٧٨ . ، ويذكر تشيتام فى برقية بعث بها الى لندن فى ١٩١٩/٣/٦ ذكر فيها تبريره لتأجيل القبض على سعد أو عدم التصدى له بأنه ليس مهيجا سياسيا ، وأن صفاته فى المكر والدعاية أشد خطرا على الذين اعتقلوا ونفوا الى مالطة فى أول الحرب ، وبرر طلبه للقبض عليه بأنه ذو مصلحة سياسية لهم .. د . مكى شبيكة : المرجع اسابق ص٦١ .

(١٤) ٥٠ عاما على ثورة سنة ١٩١٩ : ص٢٤ . حيث يذكر سعد زغلول فى خطبة له بفندق شبرد يوم ٢٠ أبريل سنة ١٩٢١

مع الانجليز ، بل ان الثورة التى تمت فى غيبتهم ربما كانت على غير ارادة بعضهم[١٥] ، ومن هنا يمكن قبول الرأى القائل بأن أول نبأ عن الثورة يسمع به سعد زغلول فى مالطة قد أحزنه « اذ خيل اليه أن هذه الاضطرابات مدبرة وأنها ثمرة دسائس بريطانيا،للتأثير بها علىالرأى العام العالمي باظهار مصر فى ثوب أمة تسلك مسلك العنف فى المطالبة بحقوقها ، وأن ثورتها ليست ثورة أحرار بل ثورة مخربين وسفاكى دماء وقتلة[١٦] بل ان قيادة الوفد حينما رأت تزايد الحركة الثورية أصدرت العديد من البيانات — مستخدمة الأسلوب الدينى — لتحض الجماهير على الكف عن الثورة ، وطلبت من أعيان البلاد القيام بهذا الأمر باتخاذ كافة الوسائل لمنع وقوع كل ماينجم عنه — ما اعتبرته — ضد البلاد[١٧] . كما أنهم كانوا لايرتضون الأسلوب — الذى وصفوه بالتطرف — الذى صيغت به المنشورات السرية التى كانت تصدر عن الثوار بعد أن ضيقت سلطات الاحتلال على

=

ان حركة مصر الاستقلالية منذ زمان بعيد على يد مصطفى كامل ومحمد فريد ، وفى خطبة أخرى يوم ١٩ سبتمبر سنة ١٩٢٣ ذكر فيها أنه ليس خالق هذه النهضة ..

(١٥) د. عبد الخالق لاشين : سعد زغلول ص٢٠٧ .

(١٦) فتحى رضوان : مشهورون منسيون ، ص٧٠ .

(١٧) أمين عز الدين : تاريخ الطبقة العاملة ص٢٢ . ، محمد صبيح : كفاح شعوب مصر ، ط٢ ص٦٠٧ .

الصحافة ، لكنهم لم يستطيعوا اعلان وجهة نظرهم خشية الضرر الذى يقع عليهم من الجماهير الثائرة(١٨) .

ونستطيع بعد ذلك أن ندرك الغرض الذى جعل المجموعة الممثلة فى الوفد تحاول أن تصبغ الثورة بصبغة علمانية ، وأن تظهر الشعب المصرى فى صورة الشعب المسالم الذى يكره الشغب ولا يكره الأجانب ويتسامح مع الأقليات « المسيحية بالذات » ، فقد كان الغرض هو الحصول على مساندة وتأييد الدول المنتصرة وأولها أمريكا وفرنسا ، والرأى العام فى انجلترا نفسها وهو أمر دعاهم لأن يخالفوا الحقيقة ويذكروا أن الشعب المصرى قد ساند بريطانيا فى الحرب ضد الدولة العثمانية مما اعتبره البعض « تملق بارد لايرضى به المصريون » لأنه « يغضب المسلمين عموما » وهو لهذا يغضب المصريين(١٩) .

ومن هنا يمكن ادراك ما توقعه الزعيم محمد فريد ورجال الحزب الوطنى من حدوث اتفاق بين سعد وانجلترا على اصلاحات داخلية فى مصر ، وهو أمر يؤكده اتصال أعضاء

---

(18) F.O., 407/185, No. 382 From Allenby to Curzon, 20, Nov. 1919.

(١٩) أوراق محمد فريد : المجلد الأول — مذكراتى بعد الهجرة ص ٤٣١ .

الوفد بأمريكا بعد اعتراف رئيسها ولسن بالحماية الانجليزية على مصر حيث كانوا يأملون فى مساعدته لهم على احــداث هذه الاصلاحات[٢٠] • ولهــذا كان من الضرورى على انجلترا أن تساعد على « رجحان كفة الجانب ــ الممثل فى هؤلاء ــ الداعى للتغيير » وتمكن له من السيطرة على الحكم ، والاستحواذ على أدوات وطرائق وامكانيات التأثير[٢١] •

ومن الأمور التى ساعدت على بروز سعد زغلول وأنصاره هزيمة تركيا وضعف حركة الجامعة الاسلامية ثم الغاء الخلافة رسميا بعد ذلك[٢٢] • وقد أدى ذلك بالضرورة الى انتقال الحركة الوطنية من المفهوم العام للجامعة الاسلامية الى المعنى المحدود للوطنية المصرية وهو اتجاه سعت انجلترا لتعميقه ــ بل لفرضه عن طريق المثقفين الليبراليين ــ فى نفوس المصريين[٢٣] •

---

(٢٠) أوراق محمد فريد : ص ٤٣٤.

(٢١) د. عبد الخالق لاشين : المرجع السابق ص٢١٧ • ، وقال أحمد شوقى سنة ١٩٢٥ مصورا ذلك :
لقد صارت لكم حكما وغنما   وكان شعارها الموت الزؤاما
الشوقيات ــ جا ص٢٦٢ ــ ٢٦٦ •

(٢٢) د. أحمد عبد الرحيم مصطفى : تاريخ مصر الســياسى ص ١٠٦ •

(٢٣) د. جلال يحيى : الثورة والتنظيم السياسى ص١٧٣ •

وعلى الرغم من أن ذلك الاتجاه قد أسهم فى نضوج نسبى للتيار العلمانى بين مجموعة من المثقفين ، وكذلك انحسار المد الدينى الاسلامى لغياب الأيديولوجية الاسلامية ، الا أن ذلك لايعنى ضعف التأثير الدينى الاسلامى على القطاعات العريضة من المصريين ، وحتى على أغلب المثقفين الليبراليين • وبرغم ضعف — أو اضعاف — الممثلين القدامى للأيديولوجية الاسلامية، وكذا المؤسسات التقليدية ، الا أنهم — أى المفكرين المسلمين التقليديين — لم يتعثروا فى اقناع الجماهير بأيديولوجية اسلامية جديدة والحصول على تأييد واسع منها بعد سنوات قليلة من ثورة سنة ١٩١٩ (٢٤) ، برغم تمكن الليبراليين من امكانيات التأثير ووسائل الحكم ، مما يؤكد قوة ودوام وسيادة التأثير الدينى الاسلامى على غالبية المصريين • ويصور الأستاذ طارق البشرى انتقال الحركة الوطنية المصرية الى الاتجاه الوطنى المحدود بقوله « كان أساسها لدى المثقفين وأصحاب الاستنارة الفكرية ، هو الرغبة فى تكوين الجماعة السياسية على أساس

---

(٢٤) تعاطف الرأى العام المصرى مع دعاة مؤتمر الخلافة بعد الغائها ، وكذلك مع الذين تولوا الرد على كتاب « الاسلام وأصول الحكم » لعلى عبد الرازق ، ثم قامت جماعتى « الشبان المسلمون » سنة ١٩٢٧ و « الاخوان المسلمون » سنة ١٩٢٨ ونالت الأخيرة تأييدا واسعا وسريعا •

قومى يكون أكثر الصيغ ملاءمة للتطور المأمول وكان أساسها لدى أصحاب التفكير الدينى التقليدى هو تأكيد السماحة الدينية التى ينطوى عليها الاسلام أو مسيحية القبط ، ويلحظ من شواهد الفترة أن غالب المصريين قد وجد نفسه فى عبارة « الوطنية ديننا »(٢٥) .

ونخلص من هذا الى أن المجموعة التى وصلت الى مكان القيادة فى ثورة سنة ١٩١٩ ومابعدها قد فشلت فى احداث التحول المأمول لأن المؤسسات السياسية التى أقاموها لتدعيم النظام الديمقراطى الليبرالى كانت تعتمد على توجيهات الدول الأوربية ، وبالتالى لم تكن مستمدة من واقع القوى الاجتماعية ولم تعبر عن رغبات الشعب الحقيقية ، كما أنهم لم يكونوا — ومن خلال هذه المؤسسات — أو فى انتماءاتهم الاجتماعية والفكرية — يعبرون عن مطالب المصريين ورغباتهم . ومع أنهم قد أضاعوا جهدهم فى محاولة وضع حد للسيطرة الأجنبية حتى لايفقدوا ثقة الجماهير ، الا أنهم لم يعنوا أنفسهم فى العمل على وضع برنامج تثقيفى تدرك الجماهير من خلاله مزايا النظام النيابى الدستورى ، ويمكن لهم من المشاركة فى هذا النظام ،

---

(٢٥) طارق البشرى : المسلمون والأقباط ص١٤٣ .

ومن هنا — وكما يرى الأستاذ مجيد خدورى — مان « القيادة والولاء الحزبيين اعتمدا على الارتباط الشخصي والعائلى أكثر مما اعتمدا على التأييد العام . وأصبحت الأحزاب تمثل حفنة من الشخصيات تتعلق بزعيم سياسى دون أن تبذل أى جهد للاتصال بالجماهير »(٢٦) .

---

(٢٦) مجيد خدورى : الاتجاهات السياسية فى العالم العربى ص ٤٧ ، ٤٩ ، ٦١ ،٥٠

دور الأقباط فى ثورة سنة ١٩١٩ ، حجمه وطبيعته

لم تشهد مصر طوال تاريخها وحتى وقوعها تحت الاحتلال البريطانى سنة ١٨٨٢ أى صورة من صور العداء الدينى بين المسلمين والأقباط [١] ، فلم تكن — وحسب ماذكره « ليدر » فى كتابه (الأبناء المحدثون للفراعنة) — « مناصب الحكومة المصرية — وحتى المناصب الكبيرة فيها — موصدة الأبواب فى وجه القبط ، وأن التاريخ الاسلامى يحمل أمثلة تظهر بجلاء أن الدين لم يكن على الاطلاق عائقا يمنع توظيف الأشخاص الأكثر كفاية فى أعمال الادارة بغض النظر عن المسئولية فى فى الدولة ، باستثناء الجيش والولاية »[٢] •

لكن الاستعمار الأوربى بوجه عام أسهم فى خلق هذه المشكلة فى العالم العربى حتى قبل وقوع بلدانه تحت الاحتلال حيث جعل من الأقليات — والمسيحية منها بالذات — وسيطا لبث الأفكار والمفاهيم الغربية[٣] ، فضلا عن أنه قد استعان بهذه الأقليات فى ادارة مصالحه الاقتصادية التى أخذت تنمو باضطراد ابان القرن التاسع عشر • واذا كان ذلك — وكما يتصور

---

(١) طارق البشرى : المسلمون والأقباط ص١١٠ •

(٢) طارق البشرى : المسلمون والأقباط ص١١٠ •

(٣) د• سميرة بحر : المدخل لدراسة الأقليات ص١٠٨ •

البعض — قد أسهم فى التماسك الاجتماعى لهذه الأقليات(٤) ، وعلى أساس الدين ، الا أنه أسهم فى الوقت نفسه فى اثـــارة المشاعر الدينية حولها لا لأنها تخالف مجموع المسلمين فى الدين ، ولكن لأنها تستمد قوتها وكيانها من قوى مسيحية لها رصـــيد تاريخى مثير مع العالم الاسلامى مما خلق حولها احساس بعدم الولاء والانتماء للمجتمع الذى تعيش فيه ، وهو أمر يفسر من خلال حيادها بشكل عام تجاه الصراعات السياسية ضـــد الحكم الغربى (٥) ، وعد اشتراكها فى الغالب فى حركة مقاومة الاستعمار فى العالم العربى فى التاريخ الحديث .

وكما فعل الانجليز فى الهند باتخاذ سياسة التفـــرقة بين المسلمين والهندوس — سياسة فرق تسد — سلكوا هذه السياسة

---

(٤) د. سميرة بحر : المدخل لدراسة الأقليات ص١٠٨ . ، صبحى وحيدة : فى أصول المسألة المصرية ص١٨٤ ، ١٨٥ .

(٥) د. سميرة بحر : المدخل لدراسة الأقليات ص١٠٩ . ، وكان لهم دور فى مساندة الحملة الفرنسية حيث أسس المعـــلم يعقوب جيشا قبطيا لهذا الغرض . أنظر : جمال بدوى : الفتنـــة الطائفية فى مصر ص٥٠ ، د. عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها جـ٢ ص٩٤٠ .

فى مصر[٦] ، وادعت انجلترا بعد ذلك أنها مابقيت فى مصر الا لحماية الأقلية المسيحية[٧] .

وكانت سلطات الاحتلال وراء أول فتنة طائفية حدثت فى مصر بسبب اغتيال بطرس غالى رئيس النظار القبطى فى ١٩ فبراير سنة ١٩١٠ ، حيث كانت وراء اختيار بطرس غالى لهذا المنصب برصيده المعادى للحركة الوطنية المتعاون مع الاحتلال ، فهو الذى وقع اتفاقية السودان سنة ١٨٩٩ ، وكان رئيس محكمة دنشواى التى حكمت باعدام الفلاحين المصريين ، وهو الذى أعاد العمل بقانون المطبوعات لتقويض الصحف الوطنية فى مارس سنة ١٩٠٩ ، وهو الذى أصدر قانون النفى الادارى الذى منحه حق نفى الأشخاص الخطرين على الأمن ، فحاكم أول من حاكم الشيخ عبد العزيز جاويش ، وأغلق أول ماأغلق جريدة الحزب الوطنى « اللواء » ، كما حاول مد امتياز

---

(٦) طارق البشرى : المسلمون والأقباط ص١١٣ . . وفسر الانجليز الاتجاه الاسلامى فى الحركة الوطنية بأنه يعنى اخضاع الأقليات المسيحية لحكم اسلامى يضطهدهم . د. جلال يحيى : المدخل الى تاريخ العالم العربى الحديث ص٤٠٤ . ، محمد شفيق غربال : تاريخ المفاوضات البريطانية جـ١ القاهرة سنة ١٩٥٢ ص٢٧

(٧) أحمد سويلم العمرى : أصول النظم السياسية ص١٠٥ ، جمال بدوى : المرجع السابق ص٥٠ ، ٥١ .

قناة السويس (٨) . وفى الجهة الأخرى وقف الاحتلال وراء بعض الصحف القبطية الموالية له ليدفعها على كتابة المقالات المثيرة لمشاعر جمهور المسلمين حيث كثرت المقالات المطالبة بالمساواة بين المسلمين والأقباط فى الوظائف الادارية ، وتصور الأقباط بأنهم مظلومون فى الحقوق العامة ، وطرح فكرة تشكيل وفد قبطى لعرض مطالب الأقباط فى انجلترا(٩) .

وحينما يقوم أحد الأقباط وهو واصف عضو الحزب الوطنى باستنكار هذه الأمور ، تهاجمه جريدة « الوطن » الموالية للاحتلال وتوجه اليه تهمة الخيانة وأنه يجب أن ينال حكم « يهوذا الاسخربوطى »(١٠) .

---

(٨) د. زكريا سليمان بيومى : الحزب الوطنى ص٥١ . وقد أيدت صحف الأقباط اتجاه بطرس غالى والاحتلال وبخاصة فى حادث دنشواى أنظر جريدة مصر ١٩٠٦/٦/٢٩ ، كما عارض الأقباط الدعوة للدستور متفقين فى ذلك مع كرومر وسياسة الاحتلال . أنظر : مصطفى النحاس : المرجع السابق ص١٠١ ، ١٠٢ . ، وقد أيدت صحف الأقباط صدور قانون المطبوعات حينما علمت أنه ضد الصحف الاسلامية ، للشعب : ١٩١٢/٥/٨

(٩) الوطن : ١٩٠٨/٥/١٨ مقال لجندى ابراهيم بعنوان « الأقباط والوظائف الادارية » ، الوطن فى ١٩٠٨/٦/٤ حيث يطالب أخنوخ فانوس عند انشاء جمعية « مجتمع الاصلاح القبطى » كل من الخديو والحكومة والمندوب السامى البريطانى بالتدخل لمساواة المسلمين والأقباط .

(١٠) الوطن : ١٩٠٨/٥/١٥ . ، الشعب : ١٩١٢/٥/٨

وظل الاحتلال ينفخ فى هذا البوق — رغم الالتزام والحذر من جانب الحزب الوطنى خشية الوقوع فى فخ الفتنة — ودفع صحف الأقباط للهجوم على العقيدة الاسلامية والتاريخ الاسلامى(١١) ، حتى اضطر الشيخ عبد العزيز جاويش بأن يكتب — مدافعا — مقال « الاسلام غريب فى بلاده » وهو مقال يخلو من الهجوم على العقيدة المسيحية لكنه يذكر المسيحيين بفضل سماحة الاسلام عليهم(١٢)، وانتهزوها فرصة للاساءة الى الحركة الوطنية أمام الرأى العام الأوربى فسهلوا مهمة سفر « قرياقص ميخائيل » كممثل للصحافة القبطية الى لندن لينشر فى صحفها مقالات عن الخلاف بين المسلمين والأقباط ، وساعدوا على سرعة اجتماع المؤتمر القبطى ، وكذلك المؤتمر الاسلامى الذى عقد للرد على مؤتمر الأقباط ، كما ساعدوا أحد الأقباط المعاصرين على نشر كتاب له دافع فيه عن الاحتلال وهاجم الحركة الوطنية(١٣) .

---

(١١) مصطفى النحاس جبر : سياسة الاحتلال تجاه الحركة الوطنية ١٩٠٦ — ١٩١٤ ص٩٩ .

(12) Marlawe. John : Anglo Egyptian Relation 1800 - 1953 London, 1954, p. 201.

(١٣) د. زكريا سليمان : الحزب الوطنى ص٢٤٥ — ٢٤٨ .
وعن دور المخابرات البريطانية فى بث الفرقة الطائفية ودفع
=

وجاءت الحرب العالمية الأولى ـــ وماتبعها من تطورات وتغييرات هامة فى مصر ـــ لتبعد المصريين عن حافة الفتنة ذلك لأن سلطات الاحتلال قد شغلتها قضايا الحرب من جهة ، وأن الأقباط والمسلمين قد تعرضوا معا للعسف والجور والاستغلال من جانب هذه السلطات طوال فترة الحرب من جهة أخرى . وقد أسهمت هذه العوامل الى جانب انحسار أيديولوجية الجامعة الاسلامية وغياب دعاتها من زعماء الحزب الوطنى ، وظهور المعتدلين من المثقفين الليبراليين من دعاة القومية على سطح العمل السياسى ، كل هذا أسهم فى اسهام الأقباط فى ثورة سنة ١٩١٩ .

على أن اشتراك الأقباط فى هذه الثورة كان محدودا وفى اطار أضيق مما اشتهر عنه ، لكن حرص القيادة الوفدية على ابرازه كان لمحاولة ايجاد أنصار للحركة الوطنية فى أمريكا وأوربا وحتى فى انجلترا نفسها[١٤] ، كما أن ذلك قد التقى مع رغبة الأقباط الرامية الى اظهار دورهم فى محاولة تحديد الاطار

صحف الاقباط لمهاجمة الحركة الوطنية . انظر : مصطفى النحاس جبر : سياسة الاحتلال ص١٠٠ ، ١٠١ . وأنظر أيضا جريدة الوطن : فى ١٩٠٨/٥/١٥ على سبيل المثال مقال لفريد كامل بعنوان الانسانية تتعذب » . ومقالات جريدة مصر فى ٢٢ ، ١٩٠٨/٦/٢٣

(١٤) د. محمد أنيس : دراسات فى وثائق ثورة سنة ١٩١٩ ص ٦٣ .

القومى وفى حركة الكفاح فى مصر ، وبحكم سيطرة كليهما — قيادة الوفد و الأقباط — على صحف هذه الفترة ، فقد أسهم ذلك فى التضخيم من هذا الدور .

فقد ظلت جريدة « الوطن » القبطية تعتبر يوم اعلان الحماية البريطانية على مصر « يوم عيد »(١٥) . كما أن الأقباط حينما سعوا لاشراك بعضهم فى الوفد — بعد تشكيله الأول الذى خلا منهم — سألوا سعد باشا — على لسان جورج خياط — عن مصيرهم بعد انضمام ممثليهم الى الوفد ، فطمأنهم سعد بأن « لكم ما لنا وعلكم ماعلينا من الواجبات »(١٦) ، وأراد سعد زغلول بذلك أن يسقط الزعم الانجليزى عن تعصب الحركة المصرية ، فضلا عن أن هذا الاتجاه يعد سمة أساسية فى فكر سعد حيث كان من المثقفين الليبراليين(١٧) .

---

(١٥) د. خليل صابات وآخرون : حرية الصحافة فى مصر ص ٣١٢ . ، وذكرت جريدة مصر من قبل أن حياة الأقباط كانت عرضة للابادة لو أبطأ الاحتلال عن دخول مصر أسبوع واحد مصر : ١٩٠٨/٦/٢٩ .. وقد طالبت هذه الصحيفة بضم مصر للمستعمرات الانجليزية ، الشعب : ١٩١٢/٥/٨ .

(١٦) طارق البشرى : المسلمون والأقباط ص١٤٨ . ، د . سميرة بحر : الأقباط ص٨٥ .

(١٧) طارق البشرى : المرجع السابق ص١٤٨ . وكان اشتراكهم فى نظر المسلمين نوعا من تأكيد السماحة الدينية فى الاسلام .

وعلى الرغم من ذلك هاجمت صحيفة « الوطن » القبطية الأقباط الذين شاركوا فى الوفد ، وهاجمت مثيلتها جريدة « مصر » القبطية التى أيدت هذا الاتجاه ، وقالت أن « المنقبادى » صاحب جريدة « مصر » برر اتجاهه للوفد بأنه « لولا هذه الخطة التى أنتهجها ، خطة المجاملة أو ان شئت المراوغة والمبدأ الذى اتبعه وهو مبدأ التظاهر بالغيرة والممالأة لزعماء هذه الحركة « الوفد» لأصاب الأقباط من جراء ذلك أعظم الأخطار وأكبر الأضرار »(١٨)

وقبيل قيام الثورة نشرت جريدة « مصر » ما أسمته بشروط للوحدة الوطنية كانت فى مجموعها لاترضى جموع المسلمين(١٩) ، ورد عليها « عبد الحميد حمدى » صاحب مجلة

---

(١٨) طارق البشرى : المرجع السابق ص٦٠ ١ .

(١٩) الوطن : فى ١٩١٩/٣/٧ مقال بعنوان « الجامعة الوطنية المنشودة بلا قيد ولا شرط » . وأهم الشروط التى أوردها المقال عن جريدة « مصر » هى : (١) محو كلمة مصرى وقبطى فى كل شىء (٢) لايخصص معهد علمى بعينه لعنصر دون آخر فيفتح الأزهر أبوابه للاقباط وكذا مدارس الأوقاف (٣) ضم الجمعيات الخيرية (٤) الا يكون هناك نادى خاص بعنصر دون اخر (٥) المساواة المطلقة فى وظائف الحكومة (٦) عدم تعيين نواب فى المجالس التشريعية باسم الأقباط (٧) جعل المدارس علمية لا دينية (٨) ضم مصالح الأوقاف الاسلامية والقبطية الى بعضها . وهذا يوضح الرغبة فى التحول العلمانى .

« السفور » — وأيدته جريدة « الوطن » المتعصبة والموالية للاحتلال — بأن ذلك ضرب من الخيال والأحلام .

ومن هنا فسر كاتب أجنبى أسباب اشتراك الأقباط فى الثورة بأنهم « أول من سيخسر اذا ما نجحت الحركة فى اجلاء الانجليز عن البلاد » ، وأن انضمام بعضهم اليها كان نوعا من « ايثار السلامة » محافظة على مكانتهم الاجتماعية خاصة وأنهم أكثر ثراء وتعليما بالقياس للمسلمين »[٢٠] .

ويتضح من ذلك أن اشتراكهم لم يكن مؤثرا ، ولهذا سعى زعماء الأزهر لاقناع البطريركية القبطية وطائفة الأقباط بالانضمام الى الحركة بطريقة فعالة [٢١] .

ومن الممكن بعد ذلك أن نحدد دور الأقباط فى الثورة من خلال اتجاهين رئيسيين : —

فالاتجاه الأول : وهم الذين اشتركوا فى الثورة وينقسم الى فريقين : —

١ — أن فئة قليلة منهم قد اشتركت فى الثورة الى جانب المسلمين دفاعا عن الوطن ، ومن خلال تأثرها بنفس العوامل التى

---

(٢٠) د. عاصم الدسوقى : ثورة سنة ١٩١٩ ص٣٦ .
(٢١) ٥٠ عاما على ثورة سنة ١٩١٩ : ص٢١٨ . برقية من تشيتام الى كيرزون فى ١٩١٩/٣/١٩ .

دفعت الجماهير للثورة ، وأنفعلت وتفاعلت مع أحداثها ، ووصفت جريدة « مصر » هذه الفئة بأن « الوطنية المصرية فى لحومهم وعظامهم »(٢٢) • وقد ظهر من هذه الفئة بعض الأقباط الذين تبادلوا مع المسلمين الخطابة فى دور العبادة مثل القمص مرقص سرجيوس الذى خطب على منبر الأزهر قائلا : « اذا كان الانجليز يتمسكون ببقائهم فى مصر بحجة حماية القبط فأقول ليمت القبط وليحى المسلمون أحرارا » وقال آخر : « اذا كان استقلال المصريين يحتاج الى مليون قبطى فلا بأس من هذه التضحية »(٢٣) •

٢ — ان فئة أخرى — أقل حماسا — قد ربطت بين اشتراكها فى الثورة وبين ضرورة اختفاء الوجه الاسلامى لها وهو الوجه الذى كان يحرك غالبية المصريين كما سبق التوضيح • وقد رفضت هذه الفئة — التى كانت تمثل اتجاه أغلب الأقباط — ربط تاريخ المحبة والوئام بين المسلمين والأقباط بالشريعة الاسلامية والتاريخ الاسلامى بل لابد من ربطها بالشعور

---

(٢٢) مصر : ١٩١٩/٥/١٦ مقال بعنوان « هل القبطى مصرى » ، نفس المصدر فى ١٩١٩/٥/٢١ مقال لفرج جرجس بعنوان : « الأقباط والتاريخ » ، نفس المصدر : ١٩١٩/٤/٢٤ مقال بعنوان : « ليس للاقباط مطالب » .

(٢٣) طارق البشرى : المرجع السابق ص١٣٦ •

الوطنى ، وأن التدليل على تاريخ المحبة بينهما من خلال أحداث التاريخ الاسلامى سيجعلهم يعتبرون المسلمين « أجانب وليسوا وطنيين » وأن « حنينهم يرجع الى بلاد العرب ، وهم وكل فاتح سواء بسواء يعد القبطى خيرا ، واذا اعتبر القبطى أسير فتح ثم طلب منه أن يختار أحد الفاتحين — أى الاسلامى أم الانجليزى — فلا ندرى على أى منهما يقع اختياره »[٢٤] .

وعبرت هذه الفئة — وهى فى هذا تعبر عن غالبية الأقباط — عن فرحتها بغلبة الجامعة المصرية على الجامعة الاسلامية[٢٥] . وحينما أرادت أن تؤكد وطنيتها وشوقها للاستقلال قالت : « أنه شوق شيخ هرم عاد اليه ميراث أبيه وكان قد حرم منه وهو بعد فى المهد صبيا »[٢٦] ، وأنهم — أى القبط — أحق من سواهم — أى المسلمين — باستقلال مصر لأنها وطنهم ووطن أجدادهم من ستة آلاف سنة . القبط الذين تحت اسم مصر اسمهم »[٢٧] .

---

(٢٤) مصر : ١٩١٩/٤/٢٤ مقال لمرقص فهمى بعنوان : « لا تظلموا أنفسكم » .

(٢٥) رمزى ميخائيل جيد : الوحدة الوطنية فى ثورة سنة ١٩١٩ ص ٥٠ .

(٢٦) الوطن : ١٩١٩/١٠/٧ .

(٢٧) الوطن : ١٩١٩/١٢/٢٧ .

أما الاتجاه الثانى : فتمثله فئة أيدت الاحتلال البريطـــانى وساعدته فى محاولة تقويض الثورة ومحاصرتها ، وهو اتجاه التقى مع اتجاه قادة الوفد المنفيين الذين حرصوا على تأكيد الوحدة بين المسلمين والأقباط ومقاومة كل مايشاع عن حدوث خلاف بينهما سعيا للحصول على تأييد الرأى العام الأوربى(٢٨)، فبدت هذه الفئة وكأنها تؤيد حركة الوفد التى تضم زعمـــاء الثـــورة •

وقد عبرت صحف الأقباط « الوطن » ، « مصر » عن هذه الفئة ، وشاركتها « المقطم » وهى لمسيحيين شوام • فلم تهتم « الوطن » بأخبار الثورة ، ونشرت فى صفحتها الثانية ـــ الأقـــل أهمية ـــ ، وبعنوان صغير لايتناسب مع الحدث ، نبأ نفى سعد باشا وزملائه ، ثم علقت على مظاهرات الطلبة بقولها : « يجمل بنا فى هذه الفرصة أن نسوق النصيحة الى الشباب بأن يجعل كل مقاصده بريئة من الشغب وأنه يقصد الى العمل بالطـــرق المشروعة ، ولانظن أن الشغب مشروع ولا هو أمر منتج أيـــة نتيجة ترجوها البلاد • ان مصر اشتهرت بين البلاد بالهـــدوء

---

(٢٨) د • محمد أنيس : دراسات فى ثورة سنة ١٩١٩ ص٦١ ، وقد قام عبد الرحمن فهمى بهذا الدور فى مصر حيث أوعز باختيار قبطى وكيلا للجنة الوفد المركزية ورئيسا لها بالنيابة ردا على تعيين الاحتلال لرئيس وزراء قبطى هو يوسف وهبه فى ١٩١٩/١١/٢١ • فتحى رضوان : مشهورون منسيون ص٦٨ ، ٦٩

والسكينة ، فليكن شعارها الان وفى المستقبل كما كان شعارها فى الماضى والله يتولى نصرة الضعفاء »[٢٩] • وناشدت جريدتا « المقطم » و « الوطن » المتظاهرين من الطلاب بالتفرغ للدراسة والامتناع عن الاضراب ، ووصف الجماهير الثائرة بالغوغاء[٣٠]، ونشرت « الوطن » فى نفس اليوم البلاغ الرسمى البريطانى بوقف الاضراب[٣١] • كما نشرت فى اليوم التالى ١٢/٣/١٩١٩ « تبرؤ الطلبة من أحداث المظاهرات بعد اعتداء الناس على مركبات الترام واتلاف المحلات التجارية ، وواصلت المناشدة بالهدوء والسكينة [٣٢] •

ونشرت « المقطم » فى ١٣/٣/١٩١٩ بيان ادعت أنه من الطلبة وأنهم يناشدون الناس الهدوء ، ووصفت المتظاهرين بالرعاع[٣٣] • كما نشرت فى اليوم التالى فى قائمة أخبارها

---

(٢٩) الوطن : ١٠/٣/١٩١٩ •

(٣٠) د • خليل اصابات وآخرون : حرية الصحافة ص٣٢٢ ، الوطن : ١١/٣/١٩١٩ ، مقال بعنوان : « ليقلع الشباب عن هذا الاعتصاب » •

(٣١) الوطن : ١١/٣/١٩١٩ •

(٣٢) الوطن : ١٢/٣/١٩١٩ مقال بعنوان : « تداخل الغوغاء فى المظاهرات الأخيرة وتبرؤ الطلبة من عواقبها الخطيرة » • ، المقطم : ١٢/٣/١٩١٩ • « المظاهرات فى العاصمة » •

(٣٣) المقطم : ١٣/٣/١٩١٩ •

تحذير من القائد العام للقوات الانجليــزية فى القطر المصرى للمصريين بعدم الائتلاف العام وتحذير آخر باجتناب الحركات السياسية ، كما نشرت شكر للبوليس على قيامه بدور مواجهة المظاهرات[٣٤] • ونشرت الوطن فى ١٩١٩/٣/١٥ تحذير القائد العام الانجليزى بأن من لم يلتزم الهـدوء ســيطلق عليه الرصاص [٣٥] • وفى ١٩١٩/٣/٢٢ أرسل تشيتام الى كيرزون رسالة ذكر فيها أن « ابراهيم حليم باشا » مدير البحيرة قد ضربه الثوار ضربا مبرحا وأصيب بجروح بالغة أثناء محاولته تفريق الثائرين فى دمنهور ، وأنه — أى تشيتام — قد سر لأن حليم باشا فى طريقه للشفاء[٣٦] •

وطالبت « الوطن » بعدم طبع المنشورات السرية بحجة أن الجماهير — الغوغاء — لايعرفون القراءة والكتابة[٣٧] •

ورحبت نفس الجريدة بوصــول الجنرال اللنبى وطالبت الجماهير بالتعاون معه على الأمن والنظام[٣٨] ، ونشرت خطة

---

(٣٤) المقطـم : ١٩١٩/٣/١٤ •

(٣٥) الوطن : ١٩١٩/٣/١٥ « منشور السلطة العسكرية »

(٣٦) ٥٠ عاما على ثورة سنة ١٩١٩ : ص٢١٤ •

(٣٧) الوطن : ١٩١٩/٣/١٩ •

(٣٨) الوطن : ١٩١٩/٣/٢٦ •

اللنبى فى الاصلاح ، وطالبت بالاذعان لما يريده « لأن فيه خير مصر »[٣٩] .

وعددت الجريدتان « مصر » ، « الوطن » الخسائر التى حدثت فى الثورة وأنها تسيء الى اقتصاد البلاد وغير ذلك فى محاولة لاحباط عزم الجماهير عن مواصلة الثورة ، وناشـــدت بالهدوء والسكينة[٤٠] .

وبعد الافراج عن أعضاء الوفد المعتقلين فى مالطة والسماح لهم بالســـفر نشرت جريدة « مصر » النبأ وطالبت المصريين بالهدوء وأن يتركوا للوفد مهمة قضية البـــلاد[٤١] ، وخاطبت اللنبى بقولها « الى عدالة الجنرال اللنبى » ، وطالبته بأن يسعى لدى حكومته لتسهيل مهمة الوفد واعتباره ممثلا لمصر[٤٢] .

---

(٣٩) الوطن : ١٩١٩/٣/٢٧ . ونشرت العديد من البيانات العســـكرية .

(٤٠) الوطن : ١٩١٩/٣/٢٧ مقال بعنوان : « ما أصابنا من النكبات » بسبب تلك الحركات . ، مصر : ١٩١٩/٤/١ تحت عنوان (الحالة العمومية فى القطر المصرى) . ، مصر : ١٩١٩/٤/٩ مقال بعنوان « مصر تصافح مصر » وآخر بعنوان : « تطور المصريين » .

(٤١) مصر : ١٩١٩/٤/١١ .

(٤٢) مصر : ١٩١٩/٤/١٧ ونشرت قصيدة وصفت فيهـــا المتظاهرين بالمجرمين جاء فيها :

لاتأخذوا الشعب البرىء بذنب من سلكوا سبيل الغى والاجرام

وتحت عنوان « ماذا تقول الصحف الانجليزية عنا الان » نشرت جريدة « مصر » مقالا طويلا أوضحت فيه وجوب لفت نظر الجمهور لأحواله الاقتصادية اذا أراد لبلاده التقـــدم ، وطلبت الارتباط بانجلترا لأن « التقدم فى النواحى الزراعية كان نتيجة لسياستها » ، وذكرت أن وكيل احدى الشركات الانجليزية حضر الى مصر ومعه نصف مليون جنيه ولم يجد فرصة مناسبة لتجارة ، وأن المصريين لاينبغى أن يقتلوا « الأوزة » — أى انجلترا — التى تفقس لهم بيضا من ذهب[٤٣] .

＊ ＊ ＊

وبقى أن نشير الى دور المرأة فى الثورة باعتباره أحـــد الركائز التى يرتكز عليها الذين يحاولون صبغ الثورة بالصبغة العلمانية . فقد كان اشتراك المرأة فى الثورة قاصرا على المدن الكبرى فقط ، كما أن أغلب المشتركات كن من الأسر « الراقية » التى « علمت بناتها تعليما مصطبغا بالصبغة الغربية » ، فى حين كان « المعارضون للفكرة يمثلون الأغلبية الساحقة من الشعب »، أى أن اللاتى اشتركن فى المظاهرات لايمثلن المرأة المصرية بشكل

---

(٤٣) مصر : ١٩١٩/٤/٢٣ .

عام[٤٤] • كما أن أغلبية من اشتركن فى المظاهرات قد حافظن على التقاليد فحافظن على وقارهن وصمتهن [٤٥] ، كما خرجن فى المظاهرات وهن مازلن تحت الحجاب[٤٦] •

---

(٤٤) عبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية ص١٣٣ ، ١٣٤ • ، د• أحمد عبد الرحيم مصطفى : تاريخ مصر السياسى ص١١٢ • ، وقد أيدت الصحف القبطية دور المرأة باعتبار أنه يتنافى والتقاليد الاسلامية فى حين دعت المتظاهرين للهدوء والسكينة كما سبق التوضيح ، كما يراعى أن اللاتى طرحن الحجاب فى المظاهرات كان بينهن نساء من الأقباط اللاتى لايلتزمن بالحجاب •

(٤٥) د• جلال يحيى : الثورة والتنظيم السياسى ص١٨٣ •

(٤٦) محمد كامل سليم : ثورة سنة ١٩١٩ كما عشتها وعرفتها ص١٠٨ •

المراجـع

مراجع عربيـــة

أبو الأعلى المودودى

حقوق أهل الذمة فى الدولة الاسلامية دار الفكر — بيروت • ب ت •

د • أحمد سويلم العمرى

أصول النظم السياسية المقارنة — الهيئة العامة للكتاب — القاهرة سنة ١٩٧٦ •

أحمد شـــفيق

مذكراتى فى نصف قرن — ج٢ — ط١ — مطبعة مصر ســنة ١٩٣٦ •

أحمد شــوقى

الشـــــوقيات — أربع أجزاء — دار الكتـــاب العربى — ب • ت

د • أحمد عبد الرحيم مصطفى

تاريخ مصر السياسى من الاحتلال الى المعاهدة — دار المعارف — القاهرة ١٩٦٧ •

أمين عز الدين

تاريخ الطبقة العاملة المصرية ١٩١٩ / ١٩٢٩ — القاهرة سنة ١٩٦٩ •

توماس • د • أرنولد

الدعوة الى الاسلام ، ت : د • حسن ابراهيم حسن ، و • عبد المجيد عابدين — ط ٣ — مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٧٠ •

د • جلال يحيى

الثورة والتنظيم السياسى — دار المعارف — القاهرة سنة ١٩٦٦ •

د • جلال يحيى

المدخل الى تاريخ العالم العربى الحديث — دار المعارف — القاهرة سنة ١٩٦٩ •

جمال بدوى

الفتنة الطائفية فى مصر ، جذورها وأسبابها — القاهرة سنة ١٩٧٧ •

د • خليل صابات وآخرون

حرية الصحافة فى مصر ١٧٩٨ / ١٩٢٤م — مكتبة الوعى العربى سنة ١٩٧٢ •

رمزى ميخائيل جيد

الوحدة الوطنية فى ثورة سنة ١٩١٩ — الهيئة العامة للكتاب — القاهرة سنة ١٩٨٠ •

د . زكريا سليمان بيومى

الاخوان المسلمون والجماعات الاسلامية فى الحياة السياسية المصرية ١٩٢٨ — ١٩٤٨ — مكتبة وهبه — القاهرة سنة ١٩٧٩ .

د . زكريا سليمان بيومى

مصر الحديثة بين الانتماء العقائدى والقومى — مكتبة وهبه — القاهرة سنة ١٩٨٣ .

د . سميرة بحر

الأقباط فى الحياة السياسية المصرية — الانجلو المصرية سنة ١٩٧٩ .

د . سميرة بحر

المدخل لدراسة الأقليات — الأنجلو المصرية — القاهرة سنة ١٩٨٢ .

صبحى وحيدة

فى أصول المسألة المصرية — الأنجلو المصرية — القاهرة سنة ١٩٥٠ .

طارق البشرى

المسلمون والأقباط فى اطار الجماعة الوطنية — هيئة الكتاب — سنة ١٩٨٠ .

د . عاصم الدسوقى

ثورة سنة ١٩١٩ فى الأقاليم ـ دار الكتاب الجامعى ـ القاهرة سنة ١٩٨١ .

د . عبد الخالق لاشين

سعد زغلول ودوره فى السياسة المصرية ١٩١٤ — ١٩٢٧ ـ دار العودة ـ بيروت ـ سنة ١٩٧٥ .

عبد الرحمن الرافعى

ثورة سنة ١٩١٩ ـ جزءان ـ ط٢ ـ النهضة المصرية ـ القاهرة سنة ١٩٥٥ .

د . عبد الرشيد عبد العزيز سالم

حياة وسيرة على الغاياتى ـ مكتبة الفلاح ـ الكويت ـ سنة ١٩٨١ .

د . عبد العزيز الشناوى

أوربا فى مطلع العصور الحديثة ـ ج١ ـ ط٣ الأنجلو المصرية ـ القاهرة سنة ١٩٧٧ .

د . عبد العزيز الشناوى

الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ـ جزءان ـ الأنجلو المصرية سنة ١٩٨٠ .

عبد العزيز فهمى

هذه حياتى ـ دار الهلال ـ سنة ١٩٦٣ .

عبد العظيم رمضان

الحركة الوطنية فى مصر ١٩١٨ — ١٩٣٦ — دار الكاتب العربى — القاهرة — ب • ت

د • على الدين هلال

التجديد فى الفكر السياسى المصرى الحديث ١٨٨٢ — ١٩٢٢ — القاهرة سنة ١٩٧٥ •

فتحى رضوان

مشهورون منسيون — القاهرة سنة ١٩٧٠ •

كارل بروكلمان

تاريخ الشعوب الاسلامية — ت : نبيه فارس ، منير البعلبكى — ط٨ — دار العلم للملايين سنة ١٩٧٩ •

لطيفة محمد سالم

مصر فى الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ — ١٩١٨ رسالة ماجستير غير منشورة — جامعة القاهرة سنة ١٩٧٠ •

مجيد خدورى

الاتجاهات السياسية فى العالم العربى — المتحدة للنشر — لبنان سنة ١٩٧٩ •

مجيـــد خدورى

عرب معاصرون ـــ المتحـــدة للنشر ـــ لبنـــان ـــ ســـــنة ١٩٧٣ ٠

محمـــد أســـد

منهاج الحكم فى الاسلام ، ت : منصور محمد ماضى ـــ دار العلم للملايين ـــ لبنان ـــ ط ٤ ســـــنة ١٩٧٥ ٠

د ٠ محمد أنيس

دراسات فى وثائق ثورة سنة ١٩١٩ ـــ جـ١ ـــ الأنجلو المصرية ـــ القاهرة سنة ١٩٦٥ ٠

د ٠ محمد حسين هيكل

مذكرات فى السياسة المصرية ـــ جزءان ـــ النهضة المصرية ـــ القاهرة سنة ١٩٥١ ٠

محمد شفيق غربال

تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية ـــ جـ١ ـــ القاهرة سنة ١٩٥٢ ٠

محمد صابر عرب

الحـــركة الوطنيةـــ فى مصر ١٩٠٨ ـــ ١٩١٤ ـــ رسالة ماجستير غير منشورة ـــ كلية اللغة العربيةـــ الأزهر سنة ١٩٧٩

محمد صـــبيح

كفــاح شــعب مصر فى القرنين التاســـع عشر والعشرين ــ ط٢ ــ القاهرة سنة ١٩٦٦ ٠

محمد فريد

أوراق محمد فريد ــ المجلد الأول ــ مذكراتى بعد الهجرة ١٩٠٤ ــ ١٩١٩ ــ هيئة الكتاب ــ القاهرة ســـنة ١٩٧٨ ٠

محمد كامل ســليم

ثورة سنة ١٩١٩ كما عشتها وعرفتها ــ آخبار اليوم ســنة ١٩٧٥ ٠

د ٠ محمد محمد حسين

الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ــ جزءان ــ دار النهضة العربية ــ بيروت ــ ط٣ ــ ســـنة ١٩٧٢ ٠

د ٠ مصطفى كمال وصفى

مصنفة النظم الاســـلامية ــ مكتبة وهبة ــ القاهرة ســـنة ١٩٧٧ ٠

مصـــطفى النحاس جبر يوسف

سياسة الاحتلال تجاه الحركة الوطنية ١٩٠٦ ــ ١٩١٤ ــ الهيئة العامة للكتاب ــ القاهرة سنة ١٩٧٥ ٠

د . مكى شبيكة

بريطانيا وثورة سنة ١٩١٩ المصرية — القاهرة سنة ١٩٧٦ .

د . نازك سابا يارد

الرحالون العرب وحضارة الغرب فى النهضة الحديثة — مؤسسة نوفل — لبنان سنة ١٩٧٩ .

ويفل (الماريشال)

اللنبى فى مصر — ت : على ابراهيم الأفطش — ومصطفى كامل فودة .

مكتبة مدبولى — ب . ت

٥٠ عاما على ثورة سنة ١٩١٩ — الأهرام — سنة ١٩٦٩

٢ — مراجع أجنبية :

1. Cromer, The Earl of : Modern Egypt, Third Edd. London, 1911.

2. J.C. HurewitZ : The minorities in the political Process inSovial Forcies in the Middle East, Greenwood press, Publishers N.Y. 1968.

3. Marlowe, John : Anglo Egyptian Relation (1800 - 1953) London, 1954.

4. Marshall, J.E. : The Egyptian Enigma (1890 - 1928), London 1928.

5. Tignor, R.L : Modernization and British colonial Rule in Egypte 1882 - 1914 priceton newjersey princeton university press, 1966.

وثائق أجنبية منشـــورة :

— F.O. 407/181, No. 327. From Curzon to Allenby May 1919.

— F.O. 407/184, No. 144. From Allenby to Curzon, 4 April 1910

— F.O. 407/185, From Allenby to Curzon 20 Nov. 1919.

الدوريات

الشعب	١٩١٢
الوطن	١٩٠٨ ، ١٩١٩
مصر	١٩٠٦ ، ١٩٠٨ ، ١٩١٩
الأهرام	١٩٧٢
النظام	١٩١٩
المقطم	١٩١٩

كتب للمؤلف

— الاخوان المســلمون والجماعات الاســـلامية فى الحياة السـياسية المصرية ١٩٢٨ — ١٩٤٨ • مكتبة وهبـه — القاهرة سنة ١٩٧٩ •

— الحزب الوطنى ودوره فى السياسة المصرية ١٩٠٧ — ١٩٥٣ القــاهرة سنة ١٩٨١ •

— مصر الحديثة بين الانتماء العقائدى والقومى — مكتبــة وهبة — القاهرة سنة ١٩٨٣ •

— التيارات السياسية والاجتماعية بين المجددين والمحافظين — دراسة تاريخية فى فكر الشيخ محمد عبده — الهيئة العامة للكتاب — القاهرة — ١٩٨٣ •

مطبعة الجبلاوى
٢٠٢ شارع الترعة البولاقية

رقم الايداع بدار الكتب ٢٤٢٨ / ١٩٨٣